التمثلات الاجتماعية للمعرفة والممارسة الطبية بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط

"دراسة تاريخية اجتماعية"

صلاح الدين فكروش، مولود عشاق
جامعة بن طفيل-كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية –المغرب
fegrouche.salaheddine@gmail.com
DOI: https://doi.org/10.56807/buj.v5i5.529

الملخص

عرفت بلاد المغرب والأندلس نهضة فكرية وعلمية كبيرة خلال العصر الوسيط بدأت مع دولة المرابطين وانعكس أثرها على عدة مجالات. استفادت العلوم الطبية من هذه النهضة وبدأ تنظيم تعليم الطب وفق مناهج تدريسية مضبوطة تتوج بإجازة في الطب، فظهر مجموعة من الأطباء الأجلاء ساهموا في الرقي بالمعرفة والممارسة الطبية.

أمام هذا التطور العلمي الذي اعتمد على الملاحظة والتجريب، لم يسلم المجتمع المغربي الأندلسي الوسيطي من تفسير بعض الأمراض والأوبئة تفسيرا غيبيا باعتبارها نابعة عن إرادة إلهية يعجز الإنسان عن دفعها ولو بمعرفته الطبية، وبالتالي وجب الاستسلام لها. أدى هذا الاختلاف في تفسير الأمراض إلى ظهور تيارين فكريين مختلفين، يفسر كل واحد منهما المرض وطريقة انتقال العدوى حسب مرجعيته. تيار يمثله رجال الدين والمتصوفة يناهض حقيقة العدوى ولا يرى في الطب ضرورة إنسانية؛ لأنه قاصر عن إيجاد الدواء الناجع أحيانا، وتيار آخر يمثله علماء الطب، يساند حقيقة العدوى ويرى في المعرفة الطبية سبيلا للوقاية من الأمراض وعلاجها.

الكلمات المفتاحية: التمثلات الاجتماعية – المعرفة الطبية -العصر الوسيط.

Social representations of medical knowledge and practice in Morocco and Andalusia during The Middle Era: A social historical study

Abstract

The Maghreb and Andalusia witnessed a great intellectual and scientific renaissance during the Middle Ages that began with the Almorabeteen State and its impact was reflected in several fields. Medical sciences benefited from this renaissance and medical education began to be organized according to precise teaching curricula that was culminated with a degree in medicine. A group of eminent doctors who contributed to the advancement of medical knowledge and practice appeared. In spite of this scientific development that relied on observation and experimentation, the Moroccan Andalusian society was not spared from interpreting some diseases and epidemics in a metaphysical way, considering them stemming from a divine will that man is unable to repel, even with his medical knowledge. Therefore, he must surrender to it. This variation in the interpretation of diseases led to the emergence of two different streams of thought, each of which explains the disease and the method of its transmission according to its own reference. One stream, represented by clerics and Sufis, opposes the reality of infection and does not see medicine as a humanitarian necessity because it sometimes falls short of finding effective medicine. Another stream, represented by medical scientists, supports the reality of infection and sees medical knowledge as a way to prevent and treat diseases.

Keywords :*Social representations- medical knowledge- The Middle Era*

المقدمة

يعتبر موضوع المعرفة الطبية بالمغرب والأندلس من المواضيع التي لم تنل اهتماما كبيرا من طرف الباحثين في مجال التاريخ الوسيطي، خصوصا فيما يرتبط بالدور الكبير الذي لعبته في مختلف الجوانب الصحية. يرجع ذلك من جهة إلى ندرة المصادر المرتبطة بموضوع الصحة والعلوم الطبية، ومن جهة أخرى إلى اعتبار هذا الموضوع يندرج في خانة التاريخ الاجتماعي الذي تتم من خلاله دراسة أحوال بعض الشرائح الاجتماعية كفئة العوام التي تعتبر بنية اجتماعية مهمة.

لقد عرف الطب تطورا من حقبة لأخرى، واعتبر مهنة تمارس من طرف أناس مشهود لهم بالدراية والأهلية وبالكفاءة (سرو، 2015م، ص15). تعتمد هذه المهنة أساسا على العلاقة التي تربط بين المريض الذي أصابه سقم، وبين الطبيب الذي يعمل على حفظ الصحة للأصحاء واجتلابها للإنسان العليل. كما تقوم هذه المهنة على شروط ومقومات بين شخص يشكو من شيء ما ألم به في جسده -باعتباره منفعلا-وبين آخر يطلب منه تخفيف هذا الألم -باعتباره فاعلا-. هذه العلاقة بين الفاعل والمنفعل، أي بتعبيرنا المعاصر بين المريض والطبيب، هي التي أطرت وما زالت تؤطر الفعل الطبي (سرو، 2015م: ص60).

بدأت العلوم الطبية بالمغرب والأندلس بداية بسيطة، وعرفت تطورا كبيرا إبان النهضة العلمية الكبيرة التي عرفتها هذه المنطقة بداية من دولة المرابطين ثم الموحدين فالمرينيين، حيث استفادت من هذه النهضة، خصوصا مع اهتمام بعض الأمراء بميدان الطب، فظهر مجموعة من العلماء والأطباء الأجلاء من أمثال مالك بن وهيب وأبا بكر بن باجة وأبو العلاء وبن خاتمة وبن زهر وغيرهم.

تجلى الاهتمام بالعلوم الطبية كذلك في تشييد المارستانات سواء بالمغرب أو الأندلس والتي لعبت دورا مهما في علاج المرضى، بالإضافة إلى أدوار أخرى اجتماعية وثقافية تمثلت في إيواء المحتاجين وتدريس الطب.

اعتمدت منهجية تدريس العلوم الطبية على دراسة الكتب المختصة في الطب، حيث كان يقوم أحد الطلبة بقراءة بعض الفقرات من الكتاب المقرر، ثم يتولى الأستاذ الطبيب شرحها وتفسيرها للطلبة، مع الاستعانة ببعض الأدوات الطبية إن اقتضت الحاجة، وذلك لإزالة الغموض والالتباس عن أذهان طلبته (قريان، 2012، ص 226)، ثم بعد ذلك يفتح المجال للمناقشة ويقوم الطلبة بطرح الأسئلة على أستاذهم فيما أشكل عليهم فيه.

بالتزامن مع التطور الذي عرفته المعرفة الطبية خلال الفترة المدروسة، لم يسلم المجتمع المغربي الوسيطي من تفسير بعض الأمراض التي استعصى على العلم إيجاد دواء لها تفسيرا غيبيا، بل وخرافيا في بعض الأحيان، حيث لعب التمثل لاجتماعي دورا كبيرا في تفسيرها وربطها بالعالم العلوي باعتبارها قوى نابعة من إرادة إلهية يعجز الإنسان عن دفعها. وهنا تبرز فئة علماء الدين والصالحين كملاذ آمن يجيب على أسئلة العوام في فهم المرض والوباء وطريقة العلاج.

أدى هذا الأمر إلى ظهور تيارين فكريين مختلفين يفسر كل واحد منهما المرض وكيفية انتقاله بحسب مرجعيته ومجال اشتغاله. تيار يمثله رجال الدين والمتصوفة يناهض حقيقة العدوى، ولا يرى في الطب ضرورة لأنه قاصر عن إيجاد الدواء الناجع أحيانا، وتيار آخر يمثله علماء الطب، يساند حقيقة العدوى ويرى في المعرفة الطبية سبيلا للوقاية من الأمراض والحد من انتشارها، وفي الدواء علاجا فعالا لها.

تكمن أهمية هذا المقال إذن، في أنه يتناول موضوع المعرفة الطبية من زاوية تاريخية سوسيولوجية، وفق النمط الجديد من الكتابة التاريخية الذي ينفتح على باقي العلوم الاجتماعية في فهم المجتمع، وينكب على دراسته استنادا إلى مختلف النظريات العلمية الحديثة. ونهدف من خلاله إلى إماطة اللثام حول موضوع المعرفة الطبية وما ارتبط بها من ممارسات وتمثلات اجتماعية لموضوع المرض والعلاج، وما خلفه ذلك من جدل فكري حول حقيقة العدوى وطرق العلاج أطرته ثنائية العلم والدين، وشارك فيه رجال الدين وذوو المعرفة الطبية.

فكيف نشأت العلوم الطبية بالمغرب والأندلس؟ ماهي العوامل التي ساهمت في تطور المعرفة الطبية وكيف ساهم النظام التعليمي في ذلك؟

كيف ساهمت التمثلات الاجتماعية للممارسة الطبية وطرق العلاج في ظهور تيارين فكريين اختلفا في تفسيرهما لماهية المرض والعدوى وطرق العلاج؟ وماهي البراهين التي استدلا بها؟

أولا- تحديد المفاهيم ومهام الطبيب

- **تعريف الطب**

لغة: يعرف الطب في لسان العرب لابن منظور "بأنه علاج الجسم والنفس" (ابن منظور، 1999م، ص 113).

ويضيف الفيروزآبادي قائلا: "هو علاج الجسم والنفس، يطب ويطب، الرفق والسحر، وبالكسر: الشهوة والإرادة والشأن والعادة، وبالفتح: الماهر الحاذق بعمله، كالطبيب" (الفيروز آبادي، 2008م، ص 989).

أما اصطلاحا: فهو "علم بقوانين تعرف منها أحوال أبدان الإنسان من جهة الصحة وعدمها، وصاحب هذا العلم يسمى طبيبا" (التهانوي، 1996، ص 1124).

وحسب بن خلدون، فإن "من فروع الطبيعيات صناعة الطب وهي تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح فيحاول

صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتعين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن" (ابن خلدون، 2001م، ص 650).

وبذلك فعلم الطب هو فرع من فروع علم الصحة، وموضوعه بدن الإنسان من حيث الصحة والمرض (طاش كبرى زاده، 1985م، ص 303)، وهو يهتم بالوقاية من الأمراض بالتشخيص وبالعلاج بمختلف الأساليب والطرق، سواء بتناول الأغذية المناسبة أو بالأدوية، وإن اقتضت الحاجة بالجراحة (حسين الحاج، 1992م، ص 398). كما أنه ينقسم إلى قسمين، قسم نظري وآخر علمي (ابن حزم، د.ت، ص4)، حيث يقول ابن سينا في هذا الصدد: "إن الطب علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح وما يزول عن الصحة لحفظ صحة حاصلة، ويستردها زائلة، ولقائل أن يقول: إن الطب ينقسم إلى نظر وعمل" (ابن سينا، 1999م، ص 13)، ولا بد من التأكيد هنا أن الوقاية أسبق من العلاج والبحث عن الدواء المناسب للمرض (الطويل، 1990م، ص 87).

خلاصة القول حسب تعبير أبي الوليد بن رشد: إن الطب هو "مهنة تمارس من طرف أناس مشهود لهم بالدراية والأهلية وبالكفاءة" (سرو، 2015م، ص15).

- **تعريف الطبيب**

ورد في لسان العرب: "طبب، الطب، علاج الجسم والنفس. رجل طب وطبيب: عالم بالطب. تقول: ما كنت طبيبا، ولقد كنت طببت، بالكسر. أما المطبب فهو الذي يتعاطى علم الطب. والطب، والطب لغتان في الطب. وقد طب يطب ويطب، وتطبب. وقالوا تطبب له، سأل له الأطباء. وجمع القليل أطبة، والكثير أطباء" (ابن منظور، 1999م، ص 553). وقال: "الطبيب في الأصل الحاذق بالأمور، العراف بها وبه سمي الطبيب الذي يعالج المرضى" (ابن منظور، 1999م، ص 554). كما يعرف مجمع اللغة العربية الطبيب بأنه: "جمع أطبة وأطباء، من حرفته الطب أو الطبابة، وهو الذي يعالج المرضى ونحوهم، والعالم بالطب والحاذق الماهر والرفيق اللبق" (مجمع اللغة العربية، 2004م، ص 549).

الطبيب إذن هو الشخص العالم المتمكن الحاذق بالصناعة الطبية، لديه إلمام بعلم الأمراض وعلم الأدوية. يستطيع أن يعالج الناس بحكم خبرته وعلمه. يقول ابن الأخوة: "الطبيب هو العارف بتركيب البدن ومزاج الأعضاء والأمراض الحادثة فيها وأسبابها وأعراضها وعلاماتها، والأدوية النافعة فيها والاعتياض عما لم يوجد منها، والوجه في استخراجها وطريق مداواتها بالتساوي بين الأمراض والأدوية، ويخالف بينها وبين كيفياتها. فمن لم يكن كذلك فلا يجعل له مداواة المرض، ولا يجوز له الإقدام على علاج يخاطر فيه ولا يتعرض لما لا علم له فيه" (ابن الأخوة، 1937م، ص 166).

- **مهام الطبيب وكسبه**

يتركز عمل الطبيب على حفظ الصحة للأصحاء واجتلابها للإنسان العليل (أحمد، 1991م، ص 521). ولنجاح عمله لا بد عليه أن يتوكل على الله تعالى في علاجه للمريض (الخطابي، 1998م، ص 463)، وأن لا يصف له ما يضره من الدواء (الشيزري، د ت. ص 264)، خاصة إذا لم يتمكن من التعرف على المرض أو كان غير عارف بدوائه (الخطابي، 1998م، ص 464)، بل أكثر من ذلك لا بد أن تكون رغبته في جلب الصحة للعليل أكثر منها في تقاضي الأجرة (قريان، 2012م، ص 212)، وينبغي أن يعالج الفقراء كما يعالج الأغنياء حتى يكون عمله من أعظم العبادات (الرازي، 1977م، ص 37).

تذكر لنا بعض المصادر أن الأطباء كانوا يعاينون مرضاهم في أماكن مختلفة، فمنهم من كان يقوم بعمله بمنزله (الوزان، 1983م، ص 242)، ومنهم من كان يذهب بنفسه إلى بيت المريض ليفحصه، ومنهم من كان يزاول مهنته في البلاط باعتباره من أطباء السلطان (قريان، 2012م: 214).

كما أن للطبيب واجبات تجاه المريض، ومنها ألا يفشي له سرا عن مرضه، وألا يطلع عليه أحدا مهما يكن الخطابي، 1998م، ص 463)، حيث يقول الرازي: "واعلم يا بني أنه ينبغي للطبيب أن يكون رفيقا بالناس حافظا لغيبهم كتوما لأسرارهم" (الرازي، 1977م، ص 27).

من أجل القيام بعمله ينبغي على الطبيب أن يمتلك جميع آلات الطب التي يحتاج إليها وهي: "كلبات الأضراس ومكاوي الطحال وكلبات العلق، وزراقات القولنج وزراقات الذكر وملزم البواسير ومخرط المناخير ومنجل البواصير، وقالب التشمير ورصاص التثقيل (الشيرزي، د ت، ص 263) و"مفتاح الرحم وبوار النساء ومكمدة الحشا وقدح الشوصة، وغير ذلك مما يحتاج إليه في صناعة الطب كأدوات الجراحين والكحالين" (زيغرند، 1991م، ص 571).

وقد تعددت اختصاصات الأطباء بتعدد طرق العلاج والأدوات المستعملة في ذلك، "فهناك الطبائعي من يطب بوصفه وقوله، والكحال بموردة، والجرائحي بمبضعه ومراهمه، والخاتن بموساه، والفاصد بريشته، والحجام بمحاجمه ومشرطه. أما المجبر فبخلعه ووصله ورباطه، والحاقن بقربته" (ابن القيم، 1998م، ص 130)، "والكواء بمكواته وناره" (الونشريسي، 1981م، ص 286).

أما فيما يتعلق بأجرة الطبيب فقد كان لا يتقاضى أجره من المريض إلا بعد أن يشفى أو يموت، فإذا شفي من مرضه أخذ الطبيب أجرته، وإن مات يحضر أولياؤه عند الطبيب المشهور ويعرضون عليه الوصفة التي كتبها لهم الطبيب، فإن رآها على مقتضى الحكمة وصناعة الطب من غير إهمال أو تقصير من الطبيب أعلمهم، وإن رأى الأمر على العكس من ذلك أبلغهم ليأخذوا دية صاحبهم من الطبيب،

فإن هذا الأخير هو الذي تسبب له في الموت من جراء تفريطه وسوء صناعته (الشيرزي، د.ت، ص 264).

ثانيا- المعرفة الطبية بالمغرب والأندلس

▪ نشأة الطب وتطوره

نشأت العلوم الطبية وبدأت بداية بسيطة شأنها في ذلك شأن باقي العلوم الأخرى كالفلسفة والحساب والفلك (التليسي، 2003م، ص 499)، وعرفت تطورا تدريجيا بدأ مع دخول يوحنا بن مأسويه (الزركلي، 2002م، ص 211) إلى القيروان (الحميري، 1984م، ص 486-487) بصحبة الأمير يزيد بن حاتم المهلبي (أبو العرب، د ت، ص 29) واستمر مع الأمير الأغلبي زيادة الله الثالث بن إبراهيم بن الأغلب بن سالم الذي أسس أول مستشفى بالقيروان. كان يطلق على العاملين بهذا المستشفى "فقهاء البدن" وكانوا يلمون بعلوم الدين والطب في آن واحد (العكاوي، 2000م، ص 245)، واعتمدت معرفتهم الطبية على الخبرة التجريبية التي ورثوها عن سابقيهم من الشيوخ والعجائز (السامرائي، د.ت، ص 557)، كما أسندت لهم مهام متعددة كمرافقة الجيوش لمعالجة المرضى والجرحى من المقاتلين ومهام أخرى (جدو، 2014م، ص 113).

نذكر من فقهاء البدن خلال هذه الفترة محمد بن الفرج بن النبا البغدادي الذي كان متمكنا من علوم كثيرة (الدباغ، د.ت، ص 316)، والفقيه سحنون الذي كان ثقة حافظا للعلم فقيه البدن (المالكي، د.ت، ص 316)، ومن تلامذته يحيى بن عمر الكناني الذي كان مدرسا بجامع القيروان إضافة إلى اشتغاله بمهنة الطب (الدباغ، د.ت، ص 237)، وطبيب لم يرد ذكر لاسمه في المصادر استدعي من طرف أبي سعيد محمد بن محمد بن سحنون لعلاج الفقيه أبي جعفر حمديس القطان في مرض أدى به إلى الموت (الدباغ، د.ت، ص 205). مع مرور السنين وظهور متخصصين في الطب، سيختفي اسم فقهاء البدن وسيحل محله اسم طبيب (قريان، 2012م: 209).

انتشر الطب في بلاد المغرب أكثر بعدما قام زيادة الله الثالث بتأسيس بيت الحكمة برقادة (الحموي، 1977م، ص 143) أواخر القرن الثالث الهجري، محاكاة لبيت الحكمة العباسي ببغداد الذي أنشأ بالقرب من الجامع الكبير (الدويجي، 1972م، ص 40). وقد ضم قاعات فسيحة فرشت جميعا بالحصير والبود الجميلة، ونضدت فيه الطنافس والمقاعد لجلوس المدرسين وكبار الزوار (ممدوح، 1977م، ص 83)، كما احتوى على مكتبة ضمت عددا ضخما من الكتب في شتى الموضوعات العلمية ودارا للترجمة والتأليف ومعهدا لتدريس علوم الطب والصيدلة وغيرها من العلوم (الدويجي، 1972م: 40) ساهم تشجيع الأمراء للعلماء على البحث والترجمة في ازدهار علم الطب وانتشاره في بلاد المغرب (مرحبا، 1988م:252)، ما مكنهم من الاطلاع على كتب أبقراط (القفطي، 2005م، ص 74) وجالينوس (جمال الدين، 2005م، ص 99) وديسقوريدس (أبو الفرج، 2009م، ص 289) وغيرهم وقاموا بترجمتها، فاستقوا معارفهم الطبية من هذه الكتب وانتقدوها ثم أضافوا إليها (التليسي، 2003م، 506).

عرفت دولة المرابطين نهضة علمية وفكرية شملت عدة مجالات، يقول المراكشي في هذا الصدد: "انقطع إلى أمير المسلمين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله، حتى أشبهت حضرة بني العباس في صدر دولتهم واجتمع بولايته من أعين الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من العصور" (حسن، د ت، ص 437). استفادت العلوم الطبية من هذه النهضة حيث اهتم بها مجموعة من العلماء من أمثال أمية بن عبد العزيز الداني ومالك بن وهيب وأبا بكر بن باجة وأبا العلاء بن زهر وهم أطباء أجلاء.

ومما ساعد كذلك في ازدهار العلوم الطبية اهتمام بعض الأمراء المرابطين بها، ونذكر منهم على سبيل التوضيح زاوي بن مناد بن عطية بن المنصور الصنهاجي المعروف بابن تقسوط، وكان من أعلام مدرسة دانية وجلة شيوخها (حسن، د ت، ص 437-438)، وأحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي الذي استوطن ألمرية وذاع صيته (التادلي، 1997م، ص 118). نشير أيضا إلى أن من بين الأمراء من كان يرسل في طلب علماء الطب إلى قصورهم فيجلسون إليهم، فهذا إبراهيم بن يوسف بن تاشفين يرسل في طلب الفقيه الجليل الشيخ أبي علي الصدفي ليسمع عليه الحديث وينتفع بعلمه وفضله، كما بسط ظل حمايته على عبد الملك بن زهر الذي ألف له كتابا في الطب أهداه إليه اعترافا بفضله وتخليدا لذكره (حسن، د ت، ص 438). ومنهم كذلك من أقبل على الثقافة الطبية كعمر بن الإمام الصنهاجي اللمتوني أمير ألمرية وأبي بكر سير الصنهاجي (السائح، 1986م، ص 179).

استمر ازدهار العلوم الطبية خلال عهد الدولة الموحدية، حيث اهتم ولاتها كذلك بهذه العلوم واعتنوا بها وشجعوا الأطباء ومنحوهم أعلى المناصب (أشباخ، 1996م، ص 239). حافظت الدولة المرينية على نفس نهج من سبقوها، حيث كانت تهتم بصحة المواطنين. يتجلى ذلك أولا في كثرة المارستانات التي شيدها الأمراء المرينيون، وثانيا في ظهور الكثير من الأطباء ومنهم الطبيب أحمد بن محمد بن يوسف الجزائي المتوفى سنة 738ه/1338م (الأعرجي، 2004م: 145) الذي درس على يد العالم يعقوب الدساس وعمل على تغيير الأدوية المنفردة بعد دراسات وبحوث. (ابن القاضي، 1973، ص 57). وكذلك "أبو العباس أحمد بن شعيب من أهل مدينة فاس الذي برع في الطب وغيره من العلوم، حتى إن الأمير أبا سعيد المريني أدخله في جملة الكتاب وأعطاه راتبا وهدايا لتقدمه وإبداعه في الطب، ومن ثم أصبح كاتبه وطبيبه.

وكذلك الشأن مع الأمير أبي الحسن المريني الذي رافقه حتى مات بالطاعون" (بن الخطيب، 1901: 272).

يذكر لنا لسان الدين ابن الخطيب أن مدينة مالقة أنجبت عددا من الأطباء، ومن أبرزهم الطبيب "محمد بن قاسم بن أبي بكر القريشي المالقي" (الكتاني، 2004م، ص 277) الذي سكن غرناطة وتردد عليهما، وذكر أنه كان لبيبا وجامعا لخصال كثيرة بارعا في الكتابة، وتوجه إلى العدوة وارتسم بها طبيبا وتولى النظر على المارستان في مدينة فاس حتى توفي سنة 657 ه/1356م.

ويذكر بن أبي زرع أنه في سنة (658ه/1260م) "أمر الأمير يعقوب بن عبد الحق ببناء المارستانات في بلاد المرتضى للغرباء والمجانين، وأجرى عليهم النفقات وجميع ما يحتاجون إليه من الأغذية وما يشتهون من الفواكه. وأمر الأطباء أن يتفقدوا أحوالهم في أمورهم ومداواتهم وما يصلح أحوالهم" (الكتاني، 2004م، ص 273).

عموما لقد سار أمراء بني مرين على نفس المنوال واعتنوا ببناء المارستانات وتعيين الأطباء، ونضرب كمثال على ذلك اهتمام الأمير يوسف بن يعقوب المريني بالطب، وأمر ببناء مارستان المنصور بتلمسان وخصص لها الأطباء (بن أبي زرع، 1972: 91). وأيضا اهتمام الأمير أبي عنان أيضا ببناء المارستانات للمرضى في مدينة فاس وأشرف عليها الطبيب محمد بن قاسم المالقي (حركات، 2000م:182).

▪ تعلم الطب وتدريسه

لعبت المساجد والمدارس والبيمارستانات دورا مهما في تدريس الطب بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، حيث كانت المساجد هي المؤسسة التي تستقبل الطلبة وتنظم فيها حلقات دراسية ومناظرات علمية (فيلالي، 2002م، ص 145)، سواء داخل هذه المساجد أو في غرف ملحقة. كانت دروسهم بداية تتمحور حول الطب النبوي، يتم خلالها شرح الأحاديث المرتبطة بالطب كحديث النبي "صلى الله عليه وسلم" الذي قال فيه: "المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء "(بنعبد الله، 2003)،

وما يؤكد لنا ذلك هو أن محمد بن عبد المنعم الحميري السبتي صاحب "الروض المعطار" كان يقوم بتدريس مختلف العلوم بأحد مساجد سبتة (الحموي، 1977م، ص 182)، بما فيها علم الطب الذي كان آخر محاضراته اليومية التي يلقيها على طلبته (حركات، 2000م، ص 412). انتقل فيما بعد تدريس الطب إلى المدارس، حيث لعبت دورا فعالا في التعليم الطبي. نذكر من بين هذه المدارس "المدرسة الجديدة" و"المدرسة المنتصرية" في كتابه "رحلة القلصادي" يذكر لنا القلصادي الأندلسي أنه ارتحل إلى تونس ودرس الطب عن شيخه محمد الدهان، ومن بين ما قرأ عليه أرجوزة ابن سينا في الطب وكتاب المنصوري للرازي وأرجوزة ابن الرقام على الإسطرلاب (القلصادي، 1978م، ص 116).

بالإضافة إلى المدرسة الجديدة والمدرسة المنتصرية، ظهرت مدارس أخرى بتلمسان بداية (القرن 8ه/14م)، حيث عملت هي الأخرى على تلقين الطلبة مختلف العلوم النقلية والعقلية بما فيها علم الطب (فيلالي، 2002م، ص 141). نجد من بينها "المدرسة اليعقوبية" التي أسسها السلطان أبو حمو موسى الثاني (شاوش، 2011م، ص 88) على ضريح والده يعقوب، وهذا سبب تسميتها باليعقوبية نسبة إلى والده. كما استدعى الشريف التلمساني ليكون من بين مدرسي الطب بها (التنسي، 1985م: 179).نذكر أيضا أن السلطان أبو الحسن المريني أنشأ بمدينة سلا "المدرسة العظمى" لتغدو من أهم المدارس المتخصصة في العلوم الطبية (الناصري، 1954م: 174).

اعتمد تدريس الطب على منهجية تعتمد على دراسة إحدى الكتب الطبية، حيث يقوم أحد الطلبة بقراءة فقرات من الكتاب ثم يقوم الأستاذ الطبيب بشرحها وتفسيرها مستعينا ببعض الأدوات الطبية إن اقتضت الحاجة لذلك لإزالة الغموض والالتباس عن أذهان طلبته (قريان، 2012م، ص 226)، ثم يفتح المجال بعد ذلك للمناقشة فيقوم الطلبة بطرح الأسئلة على أستاذهم. وقد كان الشريف التلمساني المثال الأعلى والقدوة الحسنة في استخدام أسلوب المناقشة وترسيخه في مختلف الدروس التي ألقاها بالمدرسة اليعقوبية، وذلك لجعل الطلبة أكثر تفاعلا مع الأستاذ وأكثر استيعابا لشروحه (ابن مريم، 1908م، ص 119). لعبت البيمارستانات كذلك دورا مهما في تدريس العلوم الطبية. فبالإضافة إلى دورها العلاجي كانت البيمارستانات تعتبر معاهد علمية ومدارس لتعليم الطب ومن أجود أماكن التعليم، حيث كان الطلبة يتخصصون في الأمراض الباطنية والجراحية وكذا الكحالون المختصون في أمراض العيون (زيتون، 1988م، ص 401)، "إذ لا يمكن تعلم علم الأمراض وعلم الأغراض وعلم العلاج إلا في المدارس العيادية التي تقام في المستشفيات وليس داخل قاعات الجامعة حيث تسمع الكتب ولا ترى الطبيعة" (كنغيلام، 2007م، ص 202). انقسمت دراسة العلوم الطبية في البيمارستانات إلى قسمين اثنين: قسم نظري، وقسم تطبيقي، حيث "يقوم الطلبة بتطبيق معارفهم النظرية في المارستان أين توجد الحالات المرضية ماثلة أمام أعينهم، والأدوية والعلاجات قريبة ومتوافرة" (عبد العزيز، 1987م، ص 47)، وذلك لأن المارستان يحتوي على "إيوان كبير بمثابة قاعة محاضرات، يجلس فيه كبير الأطباء" (أولاد أضياف، 2014م، ص 117) الذي يكون ملما باللغات الأجنبية وبخاصة السريانية واليونانية بالإضافة إلى معرفته الطبية (زيتون، 1988م، ص 401) ويلقي الدروس على الطلبة،

وإلى جانبهم الآلات الطبية وكذا مختلف الكتب التي صنفت في هذا الفن (اليوسف، 2008، ص 131) مثل: "الكامل للرازي والقانون والمنظومة لابن سينا وزبدة الطب للجرجاني والتذكرة للسويدي وتذكرة الأنطاكي وكليات ابن رشد ومفردات ابن البيطار..." (بنعبد الله، 1985، ص69)، وكان على المتعلم "أن يلتزم بدخول هذا المكان، ويقعد في المجلس الذي يستحقه ويتمسك بالهدوء والوقار ويحسن الإنصات إلى شيوخه، ويدقق النظر إلى غرائب الأمراض ويسجل تفاصيلها ليكون له من ذلك دستور يعمل بموجبه" (السامرائي، د.ت، ص 117)، ثم بعد ذلك "يقوم الطلبة بالزيارات الميدانية لإجراء الفحوص التجريبية على المرضى برفقة كبار الأطباء بالطبع، وهذه تعتبر بمثابة دروس تطبيقية لهم" (أولاد أضياف، 2014م، ص 117).

هنا، يقف الأستاذ الطبيب "ويبدأ بسؤاله عن أموره الحياتية كاسمه ومكان إقامته وغيرها، ثم يسأله عن مرضه وموضع آلامه ومدتها، وهو في أثناء ذلك يقوم بفحص المريض حيث يلتمس جلدته ويجس نبضه ويلقي نظره على سحنته ولون عينيه ثم بعد ذلك يلقي نظره على بصاقه وبوله وبرازه. وبانتهائه يترك الأمر للطلاب ليقوموا بتشخيص المرض وتقديم العلاج المناسب له" (شحادة، 2005، ص 153-154). زيادة على ذلك "كان الأطباء يشتغلون في بعض الأوقات في تحضير الأدوية واستخراجها من المواد الكيماوية، ويعلمون الطلبة صناعة ذلك علما وعملا" (ابن شقرون، 1985م، ص 225). مكنت هذه المنهجية في التدريس طلبة العلوم الطبية من اكتساب الخبرة اللازمة حسب تخصص كل واحد منهم، يقول ابن العباس المجوسي: "ينبغي لطالب هذه الصناعة أن يكون ملازما للمارستانات ومواضع المرضى، كثير المداولة لأمورهم وأحوالهم مع الأساتذة والحذاق من الأطباء، كثير التفقد لأحوالهم والأعراض الظاهرة فيهم، متذكرا لما كان قد قرأه في الكتب من تلك الأحوال وما تدل عليه من الخير والشر. فإنه إذا فعل ذلك كانت مداواته للمرضى مداواة صواب، ووثق الناس به ومالوا إليه ونال المحبة والكرامة منهم والذكر الجميل بينهم ولم تعدمه مع ذلك الفائدة والمنفعة إن شاء الله " (المجوسي، ص 5).

عندما يتم الطالب دروسه يتقدم إلى رئيس الأطباء، طالبا منه إجازته في صنعة التطبيب، ويتم ذلك من خلال إعطاء الطالب لرئيسه رسالة في التخصص الذي يريد إجازته فيه، بحيث يكون ملما بكل كبيرة وصغيرة وردت في هذه الرسالة، فيسأل عنها من طرف رئيس الأطباء، فإن أحسن الإجابة أجازه وهذا يثبت كفاءته لممارسة تخصصه، والعكس إن أخفق في ذلك (السباعي، 1998م، ص 109). وكمثال لذلك إجازة طالب طب من مدرسة فاس بالمغرب جاء فيها: "اجتمع أربعة من علماء فاس لامتحان طبيب مغربي فشهدوا بعد استفساره وتضلعه في الطب وقوانينه وتطبيقاته، ومعرفته بتركيب الأدوية وتقاسيم الشرايين ووظائفها وعددها وعدد العظام، وتميزه بين أنواع العصب والعضلات في الجسم ومعرفة النباتات والأزهار والأعشاب الطبية وخواصها وأسمائها وطرق إذابتها، والأوقات المناسبة لوصفها للمريض. وبعد المداولة بين الأطباء خولوا للطبيب إجازة" (أبو شويرب، 2007، ص 137-138) فهذه الوثيقة تبين العلوم التي يمتحن فيها طالب الطب أو حديث التخرج وذلك لمنحه إجازة أو رخصة لممارسة الطب في إحدى مدن المغرب الإسلامي أو خارجه (أبو شويرب، 2007، ص 137).

- **الطب والأطباء بالمغرب والأندلس**

عرفت العلوم الطبية تطورا هاما وازدهارا كبيرا بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، خصوصا في عهد المرابطين والموحدين الذين أسسوا لأول مرة في المغرب المستشفيات والمدارس العديدة والكتاتيب العامة ودور الضيافة، وظهر في وقتهم من كثير العلوم والآداب والفنون مما لم تكن شائعة من قبل (المنوني، 1977، ص14). لم تستثن العلوم الطبية من جملة ما ذكرنا حيث أولى مجموعة من الأمراء عناية خاصة بمجال الطب وعلومه، وعرفت دولهم بزوغ أخصائيين في الطب والصيدلة، حيث أحسنوا الصنعة وأتقنوها ودفعتهم رعاية الأمراء للابتكار وأخذ قسط كبير من الحرية في العمل، الشيء الذي سيعود بالنفع على المعرفة الطبية التي اهتمت بالبحث والتنقيب في جسم الإنسان وأسراره، وفهم آليات عمله بالتشخيص الدقيق لحالة المرضى، ومحاولة إيجاد الدواء المناسب لكل داء بطريقة علمية من خلال الرجوع إلى المؤلفات الطبية اليونانية وغيرها، كما اهتموا أيضا بموضوع الأغذية والأدوية وتعددت المستشفيات والمختبرات التي كانت مجالا للتجريب، ويعد "بيت الأشربة والمعاجين الطبية" الخاص بالخلفاء الموحدين نموذجا فريدا من نوعه، ومظهرا من مظاهر تنظيم الطب. كما أن الأدوية والأغذية الأندلسية في عصر الموحدين أضحت من المصادر التي اعتمدها مؤلفون مشارقة في مؤلفاتهم في نفس الفترة (سورينا، 2002م، ص 13).

لقد بلغت العلوم ازدهار الطبية والصيدلة أوج عطائها في عهد الخلافة الأندلسية (300 400هـ / 912-1009م) منذ تولى عبد الرحمن الناصر الحكم في الأندلس عام (300-350هـ/ 92-961م) وابنه الخليفة الحكم المستنصر بالله (350-366هـ / 961-976م) الذي يرجع إليهما الفضل في إنشاء أول جامعة متطورة في قرطبة وتشجيعها للعلم والعلماء (العامري، 2004م، ص 10)، فقد كان لهما دأب في إرساء دعائم المعرفة الطبية العلمية بتأسيسهم لهذه الجامعة. كما حاولا جلب أطر ومدرسين وعمدا إلى استقدامهم من كل بقاع العالم إلى قرطبة، وإغداقهما الأموال على اقتناء أمهات الكتب

في مختلف العلوم، بالإضافة إلى ما كان يصل إليهما من الهدايا من حكام وملوك الدول المجاورة كوصول كتاب "ديوسقوريدس Dioscorides"في النباتات والأعشاب هدية من ملك القسطنطينية إلى الخليفة الناصر بالأندلس (العامري، 2004م، ص 11).

ومع ظهور بعض الأطباء زمن عبد الرحمن الناصر، أخذ الاهتمام بشؤون الطب يعرف اتساعا في بلاد الأندلس، حتى إن بعض الفلاسفة اهتموا بهذا المجال أيضا فبدأت عملية التأليف في موضوع الطب والصيدلة. "فلم يكن غريبا أن نجد أن من الفلاسفة من تفوق في الطب كابن سينا وابن رشد، ومنهم من درس الموسيقى وبرز فيها كالكندي والفارابي" (الطويل، 1990م، ص 58). وقد ألف جالينوس كتابا سماه "ينبغي للطبيب أن يكون فيلسوفا" (العامري، 2004م، ص 63). وقد حظيت الأندلس أيضا بعدد كبير من الأطباء والفلاسفة الذين عملوا على تفسير كل ما يتعلق بالإنسان والطبيعة.

ساهم هذا التطور الطبي في القضاء على بعض الأمراض، وظلت أخرى مستعصية كمرض الجدري والأوبئة الفتاكة كالطاعون، "وابتكر الأطباء إجراءات احترازية للتخفيف من حدتها كعزل المصابين بالطاعون وإشعال النباتات العطرية والبخور على مفارق الطرق بين المدن والمحاجر الصحية (Quarantaines)" (العامري، 2004م: 108).

عرفت الدولة المرابطية ظهور الطب العلمي، الذي شهد تطورا بعد أن قدمت بعض الأسر العلمية من الأندلس إلى فاس ومراكش ومدن أخرى، الشيء الذي ساعد على بروز شخصيات هامة كابن طفيل وابن رشد وابن زهر. فقد أخذ ابن طفيل العلم ممن عاصره من الحكماء وكان ذا علم بشتى العلوم، وخصوصا الطبية منها. كما تقلد عدة مهام واشتغل كاتبا في ديوان الوالي بغرناطة، ثم ديوان الأمير أبي سعيد عبد المؤمن. فيما اشتغل ابن رشد في ميدان الطب وشغل منصب الطبيب، وقد صنف كتبا في هذا المجال أهمها "كتاب الكليات" الذي كان أهم الكتب المطلوبة عند طلاب الجامعات في العصر الوسيط، وهو مؤلف يتضمن الأحكام الكلية في ميدان الطب، بالإضافة إلى معلومات أخرى عامة في الطب.

يمثل ابن زهر استثناءً من بين أطباء عصره لسعة علمه وتضلعه في مجال الطب، إذ لم يعد يقتصر على وصف الأمراض وعلاجها، "بل اقتحم المجال الطبي فأضاف أشياء جديدة منها وصفه لمختلف الأمراض الباطنية والجلدية، إضافة إلى الجراحة. كما بحث في قروح الرأس وأمراضه، وأمراض الأذنين والأنف والفم والشفاه والأسنان والعيون، وأمراض الرقبة والرئة والقلب وأنواع الحمى والأمراض الوبائية، ووصف التهاب غشاء القلب وميز بينه وبين التهاب الرئة" (الغراري، 2002م، ص 67).

تندرج فئة الأطباء ضمن أصحاب المهن الحرة الذين كانوا ينتمون إلى الطبقة الوسطى، هذه الطبقة التي ضمت إلى جانبهم شرائح شتى من كبار التجار وأرباب الحرف وأصحاب الكتابة من المستعربين، بالإضافة إلى بعض أعوان الدولة وذوي المهن الحرة (القادري، 1992م، ص 143)، كما انقسم الأطباء إلى فئتين اثنتين: فئة أولى- تمتع أصحابها بوضعية اجتماعية مرموقة، ونالوا عطف الحكام والأمراء وقربوهم إلى بلاطهم، ومنهم على سبيل المثال الطبيب ابن زهر والطبيبان اليهوديان سلمون أبي يعقوب وحسن بن كنوا (بنعبد الله، 1960م، ص 21). وفئة ثانية زاولت مهنتها مستقلة لم ترتبط ببلاط السلاطين أو بيوت الأمراء والأسر الغنية، وهي التي كانت تنتمي إلى الطبقة الوسطى التي سبق ذكرها، كانوا يمارسون مهنتهم في حوانيت خاصة وانتشروا في بعض المدن المغربية والأندلسية (القادري، 1992م، ص164). نذكر من بينهم على سبيل المثال الطبيب أبو بكر يحيى بن محمد (ت 563ه)، الذي اشتغل بالطب وظهر فيه، فكان عيش نفسه مما يعود عليه منه (المنوني، 1977م، ص 124-125).

من خلال تصفحنا لبعض المصادر التاريخية، لاحظنا أنها ركزت على فئة أطباء البلاط وسكتت عن ذكر معظم أطباء الفئة الأخرى إن اصطلح على تسميتهم بأطباء العوام. فنجد أن المكانة الاجتماعية للفئة الأولى وسمعتها اختلفت بحسب قربها من البلاط السلطاني. فعائلة بني زهر مثلا ذاع صيتها في كل أرجاء المعمور من الأندلس والمغرب في فترة المرابطين، وزادت إشعاعا ومعرفة زمن الموحدين، وظلت من بين الأسر المشهورة بالحكمة والخبرة الميدانية في ميدان الطب، فلقيت إقبالا من طرف حكام وأمراء المصامدة، فأجزلت لهم العطايا والهدايا ونالوا حظوة ومكانة رفيعة، وفي هذا الصدد يذكر ابن أصيبعة أنه "نال من جهتهم من النعم والأموال شيئا كثيرا" (ابن ابي أصبيعة، د.ت، ص 286).

وكذلك الشأن بالنسبة لابن زهر وبن رشد وابن طفيل الذين عاشوا في كنف الحكام، يترددون على المجالس سواء داخل القصر أو خارجه، بل إنهم كانوا يشاركون في المغازي والحملات (ابن صاحب الصلاة، 1987، ص49).

لقد أنجبت الأندلس عددا من العلماء والأطباء والصيادلة، كابن جلجل الأندلسي الذي صنف ستة كتب في الطب أشهرها "طبقات الأطباء الحكماء" والزهراوي صاحب كتاب "التصريف في من عجز عن التأليف" وابن رشد القرطبي الذي ألف ستة عشر كتابا في الطب والمداواة وترجم عددا كبيرا من المؤلفات الطبية إلى اللغات الأجنبية التي لا تزال تدرس في الجامعات الغربية" (بن صاحب الصلاة، 1987: 9).

كان الأطباء بالأندلس ينتظمون فيما بينهم وفقا لشروط وقوانين مضبوطة، يسنها شيخ الأطباء (ابن الخطيب، 1901م، 87)، وقد قام عدد من الأطباء بهذه المهمة من بينهم أحمد بن محمد الكزني (ابن الخطيب، 1901، 87). ساد هذا النظام بالمغرب على عهد الموحدين لارتباطهم الوثيق بصور الأمراء والسلاطين، بل كان من بين السلاطين الموحدين من كانت له دراية بعلم الطب.

▪ بعض مشاهير الأطباء

كما سبق وأن أشرنا إليه آنفا، عرف الطب بالمغرب والأندلس تطورا كبيرا خلال العصر الوسيط. وقد لعبت الأندلس في ذلك دورا كبيرا، حيث ظهر بها كبار الأطباء والصيادلة الذين أبدوا عناية فائقة بالمرضى ولعبوا دورا بارزا في إثراء المنظومة الصحية بمؤلفات طبية قيمة. نذكر من بين هؤلاء العلماء ابن جلجل الأندلسي والزهراوي وابن رشد القرطبي وغيرهم. لم يعد يقتصر عمل هؤلاء الأطباء على التطبيب وعلاج الأسقام فقط، بل قاموا بوضع منهج تجريبي ستنعكس آثاره على جوانب من الممارسة الطبية.

نسوق فيما يلي على سبيل المثال لا الحصر بعضا من أشهر هؤلاء الأطباء:

- **إسحاق بن عمران**:

يكنى بأبي علي (زغلول، د.ت، 5 ص 116)، طبيب حاذق ومتميز (ابن أبي أصيبعة، د ت، ص 429). ولد ونشأ في بغداد (حركات، 2000م، ص 406) حيث أخذ العلم والطب من أطباء الخليفة العباسي (قويدر، 2013م، ص 7)، وأصبح على علم واسع في هذه الصنعة. لقب ب"سم ساعة" وذلك نظرا لما كان للدواء الذي يصفه لمرضاه من سرعة التأثير. (زيتون، 1988م، ص 393) كان يعتمد في ممارسته الطبية على طريقة الأطباء الأوائل التي كانت تقوم على الأخلاط مع حفظ التوازن (السامرائي، د ت، ص 563)، كما اعتبر من أوائل الأطباء المسلمين الذين درسوا الطب النفسي (ممدوح، 1977م، ص 86).

يعتبر إسحاق بن عمران من أشهر من نقل العلوم الطبية إلى إفريقية، ويعد مبدأ انطلاق هذه العلوم بالمغرب (الصفدي، 2000م، ص 272). حيث قال فيه ابن جلجل: "وبه ظهر الطب بالمغرب" (ابن جلجل، 1985م، ص 85). تلقى الطب على يده كثير، وقد خلف مجموعة من المؤلفات منها:

- كتاب الأدوية المفردة.
- كتاب العنصر والالتمام في الطب (حلاق، 1999م: 250).
- مقالة في المالنخوليا (الخوارزمي، 2008م، ص 155) الذي وصف فيه أمراض الوسواس أو مرض السوداوي وطرق معالجته (الزركلي، 2002م، ص 295). ويعتبر أول المصنفين المسلمين لهذا المرض، وفي ذلك يقول ابن جلجل: "ولم يسبق إلى مثله" (ابن جلجل، 1985م، ص85).
- مقالة في الاستقصاء.
- مقالة في علل القولنج وأنواعه وشرح أدويته (سيد، 2007م، ص 25).
- كتاب في الفصد.
- كتاب في النبض.
- رسالة في الطب.

- **إسحاق بن سليمان**:

يكنى بأبي يعقوب. اشتهر بالإسرائيلي (باقر، 1986، ص 74) وهو مصري الأصل (سامية، 2000م، ص 214). طبيب فاضل (ابن أبي أصيبعة، د ت، ص 430) وعالم مشهور بالحذق والبراعة (الصفدي، 2000م، ص 269). كان يمارس الكحالة، وهي علم يبحث عن كيفية حفظ صحة العين وإزالة أمراضها (طاش كبري زاده، 1985م، ص 323). اشتهر بمهارته في علم الطب والشغف بدراسته (بونار، 1981م، ص 98) إلى جانب باقي العلوم العقلية الأخرى. قال ابن جلجل عن هذه التآليف الأربعة: "له تواليف لم يسبقه أحد إلى مثل بعضها" (ابن جلجل، 1985م، ص88)، وهي: المدخل إلى الصناعة الطبية - كتاب الحميات - كتاب الأغذية والأدوية - كتاب البول وكتاب الأسطقسات- (الذهبي، 1992م، 625). من مؤلفاته أيضا:

- كتاب في النبض (ابن أبي أصيبعة، د ت، ص 431).
- مقالة في الكحل (السامرائي، د ت، ص 567).
- كتاب الترياق (حاجي، د.ت، ص 1404).

- **ابن الجزار القيرواني**:

هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم، يعرف بابن الجزار (ابن أبي أصيبعة، د ت، ص 431). يعد من أشهر أطباء المسلمين في القرن الرابع الهجري (السرجاني، 2009م، ص 257)، وأطباء المغرب (Edwarde,1933,p110). لعب دورا كبيرا في سبيل النهوض بعلم الطب في بلاد المغرب، كما ترجم عددا كبيرا من كتب هذا العلم إلى اللغة اللاتينية وغيرها (حلاوي، د ت، ص 25)، وبذلك احتل مكانة علمية مرموقة في هذا البلد كتلك المكانة التي وصل إليها الرازي (ابن أبي أصيبعة، د ت، ص 368) في بلاد المشرق الإسلامي، بل وقد تجاوزها (السرجاني، 2009م، ص 259). كان سباقا إلى الفصل بين الطب والصيدلة، فقد أقام بمنزله عيادة خصها لاستقبال المرضى ومعالجتهم فيها، وعلى باب داره أقام صيدلية أقعد فيها غلاما له، وكان يعد له بنفسه الأدوية المركبة والأشربة والمراهم (الصفدي، 2000م، ص 133).

من بين مؤلفات بن الجزار كتاب سماه "زاد المسافر وقوت الحاضر"، (حلاق، 1999م، ص 252) تطرق فيه إلى الجسد بكامله من أعلى الرأس إلى أسفل القدمين عضوا عضوا، كما يشير فيه أن الهدف من كتابه هذا أن يكون زادا للمسافر في الأمصار البعيدة التي لا يوجد بها من يمارس مهنة

التطبيب. أثنى على هذا الكتاب قسطنطين الإفريقي (Leclerc, 1876, pp 539-541) وهذا يعني أنه لم يكن معروفا في المغرب فقط بل حتى خارجه (التليسي، 2003، ص 504)، وقد وصل إلى الأندلس (الحميري، 1984، ص 32-35) عن طريق بن بريق الذي كان تلميذا لهذا الطبيب، بل إن الكتاب دخل إلى هذه البلاد قبل أن يدخلها كتاب القانون لابن سينا (البسام، 2001م، ص 234).

ألف بن الجزار أيضا كتابا عنونه ب"طب الفقراء والمساكين"، كان موجها بالأساس للفقراء والمعوزين من المرضى الذين كان يعالجهم ويوزع الأدوية عليهم بدون مقابل، "فأراد أن يؤلف لأجلهم كتابا سهل المأخذ، يرجع إليه الفقراء للمداواة والنصح أو في حالة تعذر استحضار الطبيب حالا" (التليسي، 2003م، ص 506). من مؤلفاته أيضا:

- الاعتماد في الأدوية المفردة.
- رسالة في أبدال العقاقير.
- أساسيات الطب المغربي.
- كتاب الكلى والمثانة.
- كتاب مداواة النسيان وطرق تقوية الذاكرة
- مجريات الطب.
- في الفرق بين العلل تشتبه أسبابها وتختلف أعراضها

- **موسى العزاز**:

يكنى بأبي إبراهيم (حوالة، 2000م، ص 379). اشتهر بالتقدم والحذق في صناعة الطب (ابن أبي أصيبعة، د ت، ص492)، وكان عارفا بالأدوية المفردة والمركبة ويجيد تراكيبها. قال عنه القفطي: "كان طبيبا عالما بصناعة العلاج وتركيب الأدوية وطبائع المفردات. وهو الذي ألف شراب الأصول، وذكر أنه يفتح السدد ويحلل الرياح الشراسيفية والأمغاص العارضة للنساء عند حضور طمثهن، ويدور الطمث وينقي الرحم من الفضول المانعة لها من قبول النطفة ومن الأخلاط اللزجة التي تكون بسبب إسقاط الأجنة. وينفع الكلى والمثانة وينقيهما من الفضول الغليظة المتكون منها الحصى، ويطرق الأدوية الكبار حتى يوصلها إلى عمق الأعضاء الألمة، ويحل الماء الأصفر من البطن ويخرجه بالبول" (ابن أبي أصيبعة، د ت، 240).

اشتهر كطبيب ممارس ومصنف، فقد صنف كتابا في السعال (البسام، 2001، ص 235). وله دراسة بطب العيون ومعالجات ناجحة فيه مارسها بالقيروان (السامرائي، د ت، ص 570).

- **أبو جعفر القلعي**:

كان أبو جعفر القلعي عالما بالأدوية المفردة والمركبة (باقر، 1986م، ص 67)، حسن النظر في الاطلاع على الأمراض وعلاجها (جلول، 2015، ص 71)، خلف كثيرا من الكتب التي تهتم بالطب نذكر منها:

- شرح كتاب الفصول لأبقراط.
- كتاب ذخيرة الألباب في الباءة.
- المفرد في التأليف من الأشباه.
- حواش على كتاب القانون لابن سينا (ابن أبي أصيبعة، د ت، ص580).

- **ابن النباش البجائي:**

هو "أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حامد البجائي عرف بابن النباش" (ابن أبي أصيبعة، د ت، 447). اعتنى بالعلوم الطبية إضافة إلى إلمامه بالعلوم الطبيعية والفلسفية، وكان أحد أطباء البيمارستانات ببجاية (طمار، 2010م، 233).

- **محمد بن أبي جمعة التلاليسي**:

هو "أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة بن علي التلاليسي" (بكاي، 2008، ص 107). شغل منصب الطبيب الخاص للسلطان أبي حمو موسى الثاني (المقري، 1942، 247)، وكان جراحا ممتازا وقد أجرى عملية جراحية في أمعاء السلطان أبي يعقوب المريني (فيلالي، 2002م، 248).

- **ابن مرزوق الخطيب**:

هو "محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني" (ابن مرزوق، 2008م، 145)، اشتهر بلقب الخطيب (التنبكتي، 2000م، 450)، كان موطنه بجبل بظاهر القيروان وانتقل إلى تلمسان مع عائلته أواخر القرن الخامس الهجري. قال عنه ابن خلدون: "برع في الطب والرواية" (ابن خلدون، 2001م، 529).

من مؤلفاته: الانتباه في معالجة الباه (قريان، 2012، 295).

- **أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الثغري التلمساني الطبيب**:

أحد تلامذة أبي عبد الله الشريف التلمساني (أبو القاسم، 1998م، 111). ألف معجما صغيرا ضمنه مجموعة من الأعشاب التي كانت تستعمل للعلاج في ذلك الوقت، كما ألف رسالة في الطب تضمنت كذلك الأدوية ومنافعها (أبو القاسم، 1998م، 112).

- **موسى بن صموئيل بن يهودا الإسرائيلي المتطبب**:

ولد بمالقة، (شهاب الدين. 1977م، ص34) وأخذ العلم عن أبيه وغيره (زكي، 1981م، ص 175)، ثم انتقل إلى تلمسان حيث انتهت إليه رئاسة الطب بها، وأصبح من أهم أطباء البلاط الزياني والمقرب إلى أمرائه (فيلالي، 2002م، 249).

- **ابن زهـر**

يعتبر بن زهر من خيرة أطباء عصره لسعة علمه وتضلعه في مجال الطب. فقد أضاف أشياء جديدة إلى العلوم الطبية، حيث قام بالجراحة ووصف مختلف الأمراض الباطنية والجلدية فلم يعد يقتصر فقط على وصف الأمراض وعلاجها. وبحث أيضا في "قروح الرأس وأمراضه، وأمراض الأذنين والأنف والفم والشفاه والأسنان والعيون، إضافة إلى أمراض الرقبة والرئة والقلب وأنواع الحمى، والأمراض الوبائية.

ووصف التهاب غشاء القلب وميز بينه وبين التهاب الرئة" (الغراري، 2002م، 67).

- **ابن رشد:**

هو "أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي" (520ه-595ه). ولد بقرطبة بالأندلس ونشأ في أسرة صاحبة علم وجاه. يعتبر ابن رشد فيلسوفا وفقيها وطبيبا وعالما بالرياضيات والفلك وقاضيا، حيث تولى قضاء قرطبة عام 578ه/1182م. وقد صنف عدة كتب في مجال العلوم الطبية أهمها كتاب " الكليات في الطب" الذي تضمن الأحكام الكلية في ميدان الطب، وكان أكثر الكتب طلبا عند طلاب الجامعات في العصر الوسيط لأنه يتضمن معلومات عامة في الطب.

- **أبو مروان ابن زهر**

طبيب حاذق اختلف في تاريخ ولادته (المنوني، 1989م، 90) وتوفي سنة (ت470هـ/1077م). كان عالما في صناعة الطب وخبيرا بها. كان أبو مروان شغوفا بالرحلة لطلب العلم، فقد رحل إلى الشرق وإلى بغداد بالذات، ثم دخل القيروان فمصر. رجع إلى الأندلس وقصد مدينة دانية حيث "اشتهر بالتقدم في صناعة الطب وطار ذكره منها إلى أقطار الأندلس كلها" (السرحاني، 2009م،77).

تميز بن زهر بمهارة طبية فائقة وبرجاحة عقله، يتبين ذلك من خلال توجهه النقدي والاستخفاف الذي أبداه تجاه جالينوس وترهات ابن سينا (سورينا، 2002م، 93). فقد كان يستهوي ويحب الكتابة والاطلاع على جملة من المؤلفات الطبية والفلسفية والأغذية الصحية.

ثالثا- التمثلات الاجتماعية للممارسة الطبية وطرق العلاج

لقد أثار مفهوم التمثلات الاجتماعية اهتمام المتخصصين في العلوم الاجتماعية، وبرزت أهميته في العديد من التخصصات والحقول الفكرية كعلم النفس الاجتماعي وعلم النفس المعرفي وعلوم التربية وغيرها...، وهو مفهوم مرتبط بالعملية التي يعي فيها العقل المعطيات الخارجية المكتسبة بعد أن يضفي عليه الشخص سمات شخصيته. يؤدي هذا إلى أن تتجمع لدى الشخص صور من تلك المعطيات التي تصبح تمثلا لها. كما تعد التمثلات أيضا نظاما من التفسيرات التي تساهم في بناء حقيقة مشتركة داخل مجتمع معين، سواء بشكل فردي أو جماعي.

يمكن اعتبار التمثل الاجتماعي إذن وسيلة من الوسائل ذات الأهمية الواسعة التي يتم من خلالها دمج الأفراد اجتماعيا في تصورات مشتركة، وهي بالأساس من وحي المجتمع. أفكار وتصورات تصنع الموقف والميل إليه، والعامل الأكبر في تشكيلها هو العقيدة والثقافة، بالإضافة إلى المعلومات والخبرة (غريبه، 2007م، ص 122).

يعتبر "إميل دوركايم" من علماء الاجتماع الأوائل الذين استعملوا مفهوم التمثلات الاجتماعية وكان يسميها" الجماعات"، وذلك حين تحدثه عن العصبية القبلية ورفضه لها، وظل دوركايم يعتبر "الدين والمعتقدات واللغة والعلم والأسطورة تمثلات جمعية واجتماعية. أما عند السوسيولوجيين مثل (دينيس جودلي) فقد "اقترنت التمثلات بالمعطيات الاجتماعية وهي شكل من أشكال المعرفة المتطورة والموزعة اجتماعيا ولها هدف تطبيقي يساهم في بناء حقيقة موحدة لمجموعة اجتماعية" (فريدمان، 1985م 176).

من خلال ما تقدم يمكن أن نعتبر أن التمثلات الاجتماعية للممارسة الطبية وطرق العلاج بمثابة مجموعة من التصورات والأفكار التي فسر بها المجتمع الوسيطي المغربي والأندلسي ماهية المرض وأسبابه الظاهرة والخفية، وطرق علاجه، إما بشكل علمي مبني على الملاحظة والتجربة أو بشكل غيبي مرتبط بعالم الروحانيات. لقد اعتبرت فئة مهمة من المجتمع ظهور الأوبئة والأمراض بأنه نوع من العقاب الإلهي على ذنوب اقترفوها، سواء في حق بعضهم أو أنفسهم، وهو الذي يعجل للعبد المذنب عقوبته في الدنيا أو يؤجلها ليوم الحساب "فعند الله يكون الحساب" (Bataille, 1986, p98)، وبالتالي لا سبيل للعلاج إلا بالكف عن هذه الذنوب والتقرب إلى الله.

أمام هذا المعطى الجديد تظهر فئة الأولياء والصالحين في نظر البعض خير ملاذ للخلاص من الأمراض، وخصوصا تلك المستعصية على العلاج. الشيء الذي خلف صراعا في تفسير ماهية المرض وحقيقة العدوى، وأدى إلى ظهور تصورين اثنين في كيفية العلاج. تصور يربط العلاج ببركة الأولياء، وآخر يؤمن بدور المعرفة الطبية في العلاج. فما طبيعة هذا الصراع الفكري؟

- **الصراع الفكري حول ماهية المرض وحقيقة العدوى**

من أجل فهم عميق لطبيعة الصراع الفكري حول ماهية المرض وحقيقة العدوى، لا بد من الرجوع إلى الأدوار المجتمعية التي كان يلعبها المتصوفة ورجال الدين إبان الأزمات. وفي هذا الصدد، تناولت العديد من الأبحاث السوسيولوجية الحياة الدينية بالمغرب وأبرزها دراسات جيرتز وايكلمان التي تناول فيها الحياة الدينية بالمجتمع المغربي (Bouasla, 1988).

لقد فسر المجتمع المغربي الوسيطي العديد من الظواهر الطبيعية كالأوبئة والمجاعات وباقي الكوارث الطبيعية الأخرى تفسيرا غيبيا باعتبارها قوى نابعة عن إرادة إلهية يعجز الإنسان عن درئها. وقد شكلت مثل هذه المناسبات "فرصة للفئات الفاعلة في المجتمع وخاصة العلماء والصالحين للتكافل وعون المنكوبين" (البياض، 2010م: 223). حيث قاموا بدور بارز في ميدان التكافل الاجتماعي، الشيء الذي عزز نفاذهم داخل عقلية الناس وعمق هالتهم

الوجدانية. كان العلماء والصلحاء أول من يهرع للوقوف إلى جانب المتضررين ومساعدتهم ماديا ومعنويا إبان وقت الشدائد والأزمات، وقد كان لحضورهم القوي وفاعليتهم في قضاء حوائج الناس دور في جذب مكونات واسعة من المجتمع نحوهم (نافع، 2007، ص 94).

من أبرز الأدوار التي قامت بها هذه الفئة إغاثة المحتاجين والمرضى وإطعام الجياع والنفقة عليهم. فحينما كانت تشتد حدة الغلاء والمجاعات كان يتم اللجوء إلى الرباطات والزوايا التي تحولت إلى مرافق حيوية لإيواء المتشردين وإطعام الجياع وإغاثة المنكوبين (البياض، 2010م، ص 230). كما تنافس العلماء والأولياء في إعداد الطعام واستقبال الزوار في الأماكن المعدة للإيواء فاعتبرت هذه الأعمال التضامنية في أوقات الشدة ترقية في سلم الولاية (البياض، 2010م، 224). لم تقتصر الزوايا على هذه الأدوار فحسب، بل عملت على توفير فضاءات تنعم بالأمن والرخاء كان يلجأ إليها المحتاجون وعابرو السبيل وطلاب العلم فتحولت تلك الأنشطة التكافلية للأولياء زمن الكوارث إلى لغة البركة والكرامة والإحسان والمواساة حسب الحاجة في الطعام والصحة والماء. (البياض، 2010م، ص 231).

أمام هذه المعطيات، برز تياران فكريان مختلفان، وانزوى كل تيار بتفسيره الخاص للمرض وكيفية انتقال العدوى وطرق العلاج الواجب اتخاذها، خصوصا حينما يتعلق الأمر بالأمراض الفتاكة والأوبئة كالطاعون. تيار مناهض لحقيقة العدوى، ولا يرى في التطبيب ضرورة ملحة لأنه قاصر عن إيجاد الدواء الناجع. وتيار آخر مساند لحقيقة العدوى ويرى في المعرفة الطبية سبيلا للوقاية من الأمراض والحد من انتشارها، وفي الدواء علاجا لها.

تكون التيار الأول أساسا من بعض رجال الدين والمتصوفة الذين فسروا المرض وخصوصا الوباء أنه من جملة البلايا التي يسلطها الله على عباده، فهو نقمة على الكافرين وشهادة للمؤمنين واعتمدوا في ذلك على عدة أحاديث شرعية. استنبطوا منها ثلاثة مبادئ أساسية هي:

***اعتبار الطاعون رحمة وشهادة للمؤمنين وعقابا للكافرين.** وذلك انطلاقا من حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: "فناء أمتي بالطعن والطاعون" قيل يا رسول الله، هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون؟ قال: "وخز أعدائكم من الجن، وفي كل شهادة". وأيضا ما قالته عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فناء أمتي بالطعن والطاعون"، فقلت يا رسول الله، هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون؟ قال "غدة كغدة الإبل، المقيم فيه كالشهيد والفار منه كالفار من الزحف" (ابن حنبل، 2001، ص57)

وفي رواية أخرى عن عائشة رضي الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فأخبرها: "أنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء فجعله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع في الطاعون فيمكث في بلده صابرا يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد" (الحداد، 1998: 189).

***عدم جواز خروج المسلم فارا من بلد ظهر فيه الوباء وإذا سمع بوجوده في بلد آخر فعليه ألا يقدم عليه.** حجتهم في ذلك الحديث الذي ذكرناه آنفا والذي يوحي من ظاهره بالنهي عن الخروج من الأرض الموبوءة هربا من المرض، وكذلك نهي من حل بأرضه الوباء أن يدخل إلى أرض لا يوجد فيها. وقد رأى هؤلاء الفقهاء أن الفرار من قدر الله لا يجدي نفعا في تأخير الموت (المنصور، 2011، ص 101-110)، وذلك استنادا إلى قوله تبارك وتعالى: "قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل" (القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية 16)، وقوله تعالى "أينما تكونوا يدرككم الموت" (القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 78).

***رفض مسألة العدوى بناء على حديث النبي صلى الله عليه وسلم "لا عدوى ولا طيرة".** وفي هذا الصدد وعلى سبيل المثال، فقد أعطى ابن حجر العسقلاني الأولوية للإرادة الإلهية، حيث أكد أن انتقال المرض من شخص إلى آخر لا يعدو أن يكون سوى عملية تقنية. فالمرض أسكنه الله في أبدان الذين سيصابون به لاحقا قبل تفشيه، وهو لا يعدي بطبعه، بل من اتفق له وقوع ذلك المرض فهو بخلق الله ذلك فيه ابتداء (بوجرة، 2011م، ص 384).

- **الأولياء وعلاج المرضى**

كان اللجوء إلى المتصوفة أمرا مطلوبا من أجل الاستشفاء، فقد أصبح الولي بفضل كرامته وسيلة لكف الأذى عن العباد، خاصة وأن المرض كان في منظور بعض الناس عقابا إلهيا أو مسا من الجن. وعليه، فالشفاء يتم عن طريق الاتصال المباشر بين الرجل الصالح -مصدر الشفاء-وبين المريض، ويكون ذلك عبر الاتصال المباشر باللمس أو جزء من مكونات الولي كريقه أو الهواء الصادر من فمه أو حتى بتراب قبره، فأصبح لهذا الأخير مكانة خاصة في الوصفات العلاجية (الشاذلي، 1989م، ص 116). وهذا ما يفسر كثرة الإقبال على الأضرحة باعتبارها الملجأ الوحيد للخلاص من غضب الطبيعة. فبركة شيوخ الزوايا كانت بمثابة الملاذ الوحيد لمواجهة مجموعة من الأمراض ومن بينها وباء الطاعون، حيث كانت بركتهم فاعلة في أذهان العامة عبر التعاويذ والحروز والدعوات (بوجرة، 2011م، ص 190). يمكن القول: إن هؤلاء الأولياء والصالحين، هم أول من استجاب لدعوة جموع الناس التي عانت من جراء الموجات الوبائية حيث قدموا لهم العزاء النفسي إلى حد الاطمئنان والأمن. وبهذا الشكل تشكل تدريجيا الإيمان بالخوارق في ظل قصور الأساليب الطبية القادرة على إنقاذ البشر.

لكن هل استطاع رجل التصوف ببركته وكرامته معالجة كل الأمراض والأوبئة، أم عجز هو الأخر عن ذلك؟

شكلت بركة الولي الصالح وكرامته في المعتقد الشعبي أحسن وسيلة لمعالجة الأمراض المستعصية، لكنها اقتصرت على الشفاء والعلاج من الأمراض ذات الطابع الفردي (نشاط، 1996م، ص ص 27-45) من قبيل البرص والكساح والعمى والعقم والصرع، أما الأمراض الوبائية مثل الطاعون فلم يظهر لها أثر في المصادر المناقبية إلا إذا اقترنت بموت الولي (الشاذلي، 1989م، ص 116)، فهذه المصادر لم تظهر ما يفيد أن الصلحاء بكراماتهم استطاعوا تجاوز كل الأمراض عموما ووباء الطاعون خصوصا.

تضمنت رسائل ابن عباد الرندي إشارة مهمة للحالة التي كان عليها الفكر والمجتمع عقب الطاعون الأسود، فقد وردت بها معلومات عن مدى ارتباط الإنسان بالمتصوفة في زمن تدهورت جميع أحواله. فقد حكى أن "رجلا ممن يحسن الظن به مرض له ابن وابنة في هذه الأيام القريبة كان يحبهما حبا شديدا والولد أكثر، فجاء إلي باكيا وشاكيا بإناء فيه ماء ووعاء فيه حناء برسم أن يرقى له ذلك ليستشفي به لهما، ووصف لي مقدار ما بلغ به وجده عليهما. فأجبته إلى ذلك وفعلت ما طلبه مني ثم انفصل عني وهو يرى أنه قد حصل على مطلبه وبلغ القصد الذي رغبه. فلم يكن إلا بياض النهار وإذا به قد جاءني وأخبرني أن ابنته قد ماتت فحضرت جنازتها، ثم بعد ذلك بيوم جاء إلي وأخبرني أن ابنه قد مات فحضرت جنازته، ثم جاء إلي بولد كان قد بقي له أكبر من أخيه وقال لي خاطرك معه، فدعوت له فلم يلبث إلا يومين وإذا به مرض ثم دخل قبره في اليوم الثالث وحضرت جنازته. فهذه صورة من صور الكرامات في رضى الإله عني" (الرندي، 2011م، ص 373-374)

لقد اتسمت ردة فعل المعاصرين للطاعون بالاستسلام والخنوع، حيث اعتبروه أحد الخوارق الغامضة التي ترجع إلى القدرة الإلهية لتعاقب الإنسان على ما يفعله من خطايا. فكانت وسائل مواجهته تفتقد للنجاعة والفعالية التي من شأنها أن تتصدى له والتخفيف من حدته. ويمكن تلمس الحالة النفسية الجماعية للناس بربط العلاقة بين الطاعون وتزايد نفوذ التيار الصوفي. فمن المعروف أن الناس كثيرا ما كانوا يقبلون على الأولياء والصلحاء في الأوقات الحرجة التماسا لبركتهم وكرامتهم من أجل رفع الأذى، فقامت الحركة الصوفية بتقديم العزاء النفسي والأمن والأمان في ظل قصور الطب عن إيجاد الوصفة القادرة على معالجته. لكن وبالرغم من كل ما بذله فإنهم لم يستطيعوا الحد منه.

- **الأطباء وعلاج المرضى**

في مقابل الأولياء والصالحين اتسم التيار المناهض لفكرة التسليم بالقضاء والقدر بنوع من العقلانية في التعاطي مع الأمراض والأوبئة إن صح وصفهم بهذا الوصف. يتجلى ذلك بشكل كبير في المؤلفات الأندلسية، خصوصا نظريات ابن الخطيب وابن خاتمة اللذين أقرا بوجود العدوى وأكدا على ضرورة التصدي لها وتجنب مخالطة المطاعين. ولتحقيق هذا الأمر فيجب عدم ارتياد الدور والأماكن الموبوءة، وعزل المدن الخالية من الطاعون عن المناطق الموبوءة وذلك بتقنين دخول الوافدين إليها (بوجرة، 2011م، ص23).

اعتبر موقف بن الخطيب موقفا علميا جريئا في إقراره لوجود العدوى في انتقال الأمراض، فقد غلب التوجه العلمي والقول الطبي على التوجه الديني، حيث اعتمد على الملاحظة العلمية والتجربة وعلل رؤيته بقوله: "فإن قيل كيف نسلم دعوى العدوى وقد ورد الشرع بنفي ذلك، قلنا وقد ثبت وجود العدوى بالتجربة والاستقراء والحس والمشاهدة والأخبار المتواترة وهذه مواد البرهان. وغير خفي عمن نظر في هذا الأمر أو أدركه هلاك من يباشر المريض بهذا المرض غالبا وسلامة من لا يباشره كذلك. ووقوع المرض في الدار والمحلة لثوب أو آنية حتى أن القرط أتلف من علق بأذنه وأباد البيت بأسره. ووقوعه في المدينة في الدار الواحدة ثم اشتعاله منها في أفذاذ المباشرين ثم في جيرانهم وأقاربهم وزوارهم خاصة حتى يتسع الخرق، وفي مدن السواحل المستصحبة حال السلامة إلى أن يحل بها في البحر عن عدوة أخرى قد شاع عنها خبر الوباء..."(السعداوي، 1995م، ص 135).

ومن أجل دعم هذا الموقف من الناحية الشرعية أيضا لتفادي المنتقدين، فقد استدل بن الخطيب بحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه "لا يورد ممرض على مصح" (بوجرة، 2011م، ص23).

سار بن خاتمة على نهج بن الخطيب وأقر قطعا بوجود العدوى وانتشارها خصوصا بالنسبة للأمراض الفتاكة والأوبئة، حيث اعتمد على التجربة والحس والمشاهدة والأخبار المتواترة، فقال: "الظاهر أن هذا الداء يسري شره ويتعدى ضره، شهدت بذلك العادة وأحكمتها التجربة، فما من صحيح يلامس مريضا إلا ويتطرق إليه أذيته ويصيبه مثل مرضه ..." (فتحة، 2011م، ص 95)

كما صرح أن كيفية انتقال العدوى تكون عن طريق الأبخرة التي تصدر من أجسام المرضى، خاصة تلك التي تخرج من أنفاسهم. وكذلك بمعاودة استعمال الملابس والأفرشة التي كانوا يستعملونها حين مرضهم. واستدل على ذلك بما شاهده في "أهل سوق الخلق بألمرية الذين يبتاعون بها ملابس الموتى وفرشهم، مات أكثرهم ولم يسلم منهم ولا من الذين خلفوهم إلى الآن إلا الأقل وغيرهم من أرباب الأسواق، حالهم كحال سائر الناس" (بوجرة، 2011م، ص511)

في هذا الصدد تطرق بن خاتمة إلى الإجراءات الاحترازية الواجبة زمن الوباء، وانطلق في تحديده لها من الاعتبار الطبي القائل بأن البقاء على قيد الحياة رهين بستة أمور هي:

- **الهـــواء:** نصح بالمواظبة على شم النباتات التي تصدر منها رائحة طيبة كالرياحين والأزهار.
- **الحركة والسكون:** يرى أنه من الضروري على المحترز الالتزام بالسكون، لأن كثرة الحركة تستدعي استنشاق كمية كبيرة من الهواء.
- **الأطعمة والأشربة:** نصح بضرورة الابتعاد عن الأطعمة الثقيلة الغنية، والإقلاع عن تناول اللحوم. كما وصى بعدم الشبع والنوم مباشرة بعد الأكل.
- **النوم واليقظة:** إذ يجب الاقتصار على النوم ليلا فقط، وأن يكون ذلك في أماكن يخترقها الهواء.
- **الاستفراغ والاحتقان:** رأى أنه من الضروري إخراج أقصى ما يمكن من الفضلات، ويكون ذلك بتناول العصائر والأشربة ثم التخلص من الاحتقان بالاعتماد على الفصد والحجامة والمحافظة على نظافة الجسد بالإكثار من الاستحمام.
- المشاعر والأعراض النفسانية: ويتأتى ذلك ببسط النفس وإدخال البهجة والسرور بالإقبال على قراءة الكتب، ككتب التاريخ والفكاهة مثلا. ونظرا لكون ابن خاتمة عالم أبدان وأديان، فقد جعل خير زاد يتزود به المحترز هو قراءة القرآن الكريم لأنه يبعث الطمأنينة والراحة في النفوس (بوجرة،2011م، ص453-454). أما فيما يتعلق بالأمراض التي لا تدخل في خانة الأوبئة، فقد قام أطباء المغرب والأندلس بوصف وصفات طبية للمرضى بحسب نوع المرض ودرجة حدته. نستعرض في الجدول التالي بعض الأمراض ونوعية الأدوية التي كانت تستعمل لعلاجها:

جدول لبعض الأمراض وكيفية علاجها

م	نوع المرض	أسبابه / نوع الدواء المستعمل في العلاج	طريقة استعمال الدواء
1	أمـــــراض العيـــــون (رويـــــان، 2001م، ص 150)	إن من بين الأسباب الحقيقة التي تضر بالعيون الرياح المحملة بأنواع التربة والقاذورات كـ"الريح الشرقية التي تحمل الرمل والغبار فتتأذى منها العيون وتفسد في النهاية" (الوزان، 1983م، ص 82-83). وفي هذا الصدد يقول صاحب الاستقصا "وفي سنة تسع وسبعين وبعدها كانت الريح الشرقية بالمغرب ودامت ستة أشهر فأعقبت وباء عظيما وأمراضا كثيرة" (الناصري، 1954م، ص 262)، ويتحدث الحسن الوزان عن هواء سجلماسة "وتمرض عيونهم في فصل الصيف، لكنهم سرعان ما يشفون" (الوزان، 1983م، ص128)، و"أمراض العيون كثيرة بالمغرب، وهناك كثير من العمي بالمغرب فقدوا بصرهم بسبب العقاب أو الجذري أو الزهري كما أن قلة النظافة والتهاون كانت لهما اليد الطولى في هذه الآفة" (رويان، 2001م، ص 150). لذلك يستعمل لعلاج داء العيون أنواع من قشور الأشجار وبعض الأعشاب ومن بين قشور الأشجار المستعملة في مداواة "أمراض العيون قشر شجر أرغيس: وهو قشر شجرة الباربارس. وأهل مصر يسمونه: عود مغربي" (الغساني، 2000م، 5).	"ينفع من الرمد فصد القيفال من الجانب الذي فيه العين العليلة أو من التي فيها العلة أقوى أولا ثم من الجانب الآخر بعد يومين إن كان الرمد مع حمرة كثيرة في العين في عكر بياض العين على الحدقة" (الرازي، 1991، ص 61)
2	أمراض الحلق	"تؤخذ كمية من تراب الشاردة: جزيرة في الأندلس، تراب هذه الجزيرة جمعية له خاصية عجيبة في قتل العلق المتعلق بالحلق"(الغساني، 2000م، ص 37).	"يؤخذ منه يسير وحل في ماء، وقطر في أنف المعلوق أسقط العلق للوقت من حلقه"(الغساني، 2000م، ص 37).
3	مرض القمل (الأصفهاني، 2006 137)	"إذا كان القمل في الرأس فينبغي ان يغسل الرأس بماء البحر فإنه يهلك القمل، وإذا تعذر ماء البحر فخذ ملحا وأصبب عليه ماء يسيرا وشيئا من خل ويغسل به الرأس، أو خذ شبا فيسحق بزيت ويطلى به الرأس" (ابن الجزار، 2009، 92)	
4	أمراض الأذن (الـــوزان، 1983م، ص 82-83)	"بنات وردان: إذا سحق بزيت وقطر في الأذن سكن وجعها" وقد يستعمل أيضا لمجموعة من الأوجاع كـ "أوجاع الأرحام والكلى، بعد أن يكسر تحليله بزيت ومح البيض، ويدر الحيض والطمث والبول، ويسقط وينفع مع قردمانا للبواسير، وينفع النافض وسموم الهوام، وإذا درست وضمد بها قروح الساقين أرأت منها جدا" (الغساني، 2000م، ص 31)	"ينفع من وجع الأذن الذي يكون مع ضربان وحرارة وحمرة الوجه ودرور العروق، أن يقطر فيها الأدهان الباردة وقد فترت قليلا مثل دهن النيلوفر والورد والبنفسج ودهن حب القرع ذكرنا عجيب في ذلك أو يؤخذ خل خمر صافي رقيق ودهن الورد أجزاء سواء فيجعل في أسفل منيه، ويوضع على نار لينة حتى ينضب الخل ويقطر منه في الأذن" (الرازي، 1991، ص 72).
	مرض الحكة	يستعمل لعلاج وشفاء من الحكمة ما يسمى "بورق: أنواع من البورق	"الماء المالح في الحمام قال أبو علي ينفع من

5	(عبد العزيز، 2016، ص 839)	مختلفة، ومعادنه كثيرة كمعادن الملح ومنه أحمر وأبيض وأغبر ألوانا كثير" وقد يستعمل أيضا لعلاج هذا المرض وصفة أخرى "قشر البيض بارد في الدرجة الثانية، مجفف ينفع من الحكة والجراب الحادث في العين" (الغساني، 2000م، ص 35)	الجراب والحكة" (الرازي، 1887م، ص 26) يستخدمه الناس في الحمام فيغسلون به أبدانهم من الأوساخ والأدران و"قد يشفي الحكة، لأنه يحلل الرطوبات الصديدية التي تكون عنها الحكة" (الرازي، 1887م، 32-33).
6	الحمى (عكاوي، 1994م، ص112)	و"خاصة منها حمى المستنقعات وكانت تعالج بوضع العلق على جبهة المريض وتبخير عين الصقر أو عنق الديك الأبيض، أو رأس الأفعى" (رويان، 2001م، ص 150)	يستعمل التمر الهندي ويخلط بالماء ثم يشرب (حدادي، 2001، ص39)، وقد ينفع للحمى الحادثة عن شدة الشمس ينفعها الماء البارد وهي الطريقة التي ينفذ بها سنويا مئات ممن يصابون بالرعن – ضربة الشمس" (عكاوي، 1994م، 112) فيشفى من مرضه.
7	أمراض المعدة (عكاوي، 1994م، ص73)	يؤخذ السفرجل الحامض فيقطع بعد التنقية من الزغب وينقى من حبه ولا يقشر ويدق.	"يعصر ماؤه ويؤخذ منه جزء ومن الخل سدس جزء ومن السكل نصف جزء إلى جزء على قدر حموضة الخل. يطبخ حتى يصير له قوام ويستعمل كما يستعمل السكنجبين فإنه يقوي المعدة الضعيفة ويسكن الحرارة ويصلح هذا الشراب لمن به ضعف الشهوة مع الحرارة" (الرازي، 1991م، ص 100).
8	مرض الأسنان والأضراس (حدادي، 2001، ص 39)	يظن أغلب الناس أن هذا المرض ناتج "عن كون هؤلاء القوم يشربون الماء البارد فور تناولهم الحساء الحار (الوزان، 1983م، ص83)" "في علاج أوجاع الأضراس والتآكل والثقب فإذا حدث ذلك فينبغي أن يؤخذ حنظلة فتجوفها ثم تصب فيها خلا وتضعها على جمر حتى يغلى ثم تأمر صاحب الوجع أن يتمضمض به، أو يؤخذ عروقا من الحنظل، فيطبخها بالخل حتى تغلى، ثم يؤمر المريض أن يتمضمض بذلك الخل، أو يؤخذ قطعة من ثوم فتوضع في ذلك الثقب بعد أن تدق" (ابن الجزار، 2009م، 129)	"يؤخذ شيء من شب ويطبخ بخل وعسل ويتمضمض به، أو يؤخذ شيء من عيون الدوالي فيدق ويخلط مع شيء من عسل ويطلى به اللثة الورمة فإنه يشد الأسنان واللثة المسترخية ويقطع الدم السائل من اللثة وينفع بإذن الله تعالى" (ابن الجزار، 2009م، 128)
9	مرض النقرس (الوزان، 1983م، ص83)	"ينفع من وجع المفاصل والنقرس إذا كان حاميا حارا أو ورما فيه حمرة وحرارة أن يفصد إن كان في يد اليمنى فمن اليد اليسرى وإن كان من اليسرى فمن اليمنى وإن كان في الرجل اليسرى فمن اليد اليمنى وإن كان في الرجل اليمنى فمن اليد اليسرى فذلك في وقت هيجان بالقرب من الوقت" (الرازي، 1991، ص156).	يستعمل طلاء الذي يتكون "من صندل أبيض وشياف ما ميثا وقوقل وإسفيداج الرصاص وطين أرميني وورد يسحق الجميع بخل وماء ورد ويطلى على جميع الأورام الحارة في ابتدائها" (الرازي، 1991، ص 156)
10	ألم النسا والركب (بوزلوم) (الأصفهاني، 2006م، ص 137)	سببه الجلوس على الأرض في فترة البرودة يستعمل لعلاجه ال"بلسان: وهو شجر لا يعرف اليوم نباته بغير مصر خاصة، بالموضع المعروف منها بعين شمس فالشجرة مصرية تشبه السذاب، ولونها أبيض، أجود دهنها الطري الذكي الرائحة، وعودها حار يابس في الثانية، وذهنها أقوى، وهي نافعة من عرق النسا والتشنج، ودهنها نافع من الأمراض الباردة" (الغساني، 2000، 27)	"ينفع مع عرق النسا ووجع الورك الذي مع حرارة ويحس العليل في وركه أو رجله بحرارة وضربان ويسكن عند الأشياء الباردة فصد الباسليق ثم فصد عرق النسا وصب ماء الثلج على تلك الرجل حتى يحذر ويتعاهد فصد الباسليق وترك المشي"
11	أمراض الحلق	"تؤخذ كمية من تراب الشاردة: جزيرة في الأندلس، تراب هذه الجزيرة له خاصية عجيبة في قتل العلق المتعلق بالحلق" (الغساني، 2000، 37)	"يؤخذ منه يسير وحل في ماء، وقطر في أنف المعلوق أسقط العلق للوقت من حلقه" (الغساني، 2000، ص 37)
12	مرض الزكام (حدادي، 2001، ص39)	وقد ذكر الحسن الوزان سجلماسة، "وكان هواؤها طبيا، إلا أن فصل الشتاء بها كان شديد الرطوبة، كثيرا ما يسبب النزلة للناس" (الوزان، 1983م، ص128)، ويستعمل لعلاج البرودة والزكام "شجرة مريم": يقال على ضرب من النبت، وهو الأقحوان على الحقيقة، وهي الكافورية عند أهل المغرب وفي رائحتها ثقل، ويقال على بخور مريم، ويقال بمصر على حب الغول، ويعرف بأرض الشام بالأبهر، ويسمى اللبنى والأضطراك، وهذه الأسماء يوقعها الأطباء على الميعة، وهو بخور مريم، وهو ثلاثة أنواع بغير ثمرة، وأصلها: العرطنيثا، وهي حارة يابسة في الثانية، تنفع من الزكام من برد ولنزول الماء في العينين" (الوزان، 1983، ص 188)	يؤخذ "شونيز ويسخن ويجفف في الدرجة الثالثة والدليل على ذلك أنه في غاية المرارة وهو مع هذا ألطف وإذا صر في خرقة واشتم نفع من الزكام البارد" (ابن رشد، 2000م، ص).
	مرض القرع (الوزان،	"يتكون عادة في رؤوس الأطفال الصغار والنساء البالغات، فيصعب الاستشفاء منه إلا بمشقة عظيمة" (الوزان، 1983، ص 83)	ينبغي لكل من يتساقط شعره أن "يبدأ في ذلك بإنقاء البدن من الفضول الفاسدة، ثم يحلق موضع

13	1983، ص (83		داء الثعلب أو يدلك بورق التين أو ببصل ثم يطلى عليه بعض هذه الأدوية مثل أن يسحق بصل وقشر فجل مع عسل ويطلى به الموضع فيبرأ" (ابن الجزار، 1994، ص 89)
14	مرض الأعصاب (الطويل، 1990، ص (130	"وكثيرا ما يشاهد مرض الأعصاب في افريقيا عند الأطفال، لكنهم يشفون منه كلما تقدمت سنهم، ويصاب به كثير من النساء، لاسيما في بلاد البربر وأرض السودان" (الطويل، 1990، ص 85) "يجلب من وادي خرسان، ورقه على هيئة ورق اللبلاب الكبير، إلا أنه محدد الأطراف، وله سوق قائمة، وهو حار يابس في الدرجة الثالثة" (الغساني، 2000، ص 37)	يستعمل "مقدار الشرب منه درهم إلى درهمين وإن طبخ مع الأدوية فوزن أربعة دراهم وقال استعماله يبسا وجفافا في البدن لأنه يخرج الرطوبات الرقيقة، لذلك يستعمل مع دهن اللوز، وينفع من أمراض العصب، ويسهل بلغما كثيرا وشيئا من الأخلاط المحترقة قليلا، هذا إذا أخذ مسحوقا، وأما مطبوخا فبالعكس" (الغساني، 2000، ص 37)
15	أمراض الثدي (الرازي، 1991م، ص99)	"حجر البهت، وهو مشهور عند أهل المغرب الأقصى ويباع الحجر منه بقيمة جيدة لاسيما في بلاد لمتونة" (الإدريسي، 2002م، ص 28) وهي "أحجار كثيرة ذات ألوان شتى وصفات مختلفات يتنافسون في أثمانه ويتوارثونها بينهم ويذكرون أنها تتصرف في أنواع من العلاجات الطبية الفاعلة، بالخاصية فمن ذلك أحجار تعلق على الثدي الوجعة فتبرأ من وجعها مسرعا ومنها أحجار تعلق للولادة فتسهل" (الإدريسي، 2002م، 29)	"يسحق كمون بخل وعسل ويطلى على الثدي أو يطلى بالمرداسنج ودهن الورد وينفع من الورم فيه أن يضمد بدقيق البقل والسكنجبين" (الرازي، 1991م، ص99)

بقي أن نشير في النهاية إلى أنه إلى جانب اهتمام الأطباء بوصف الدواء في علاج الأمراض، والذي كان يتكون غالبا من الأعشاب النباتية، فقد اهتموا أيضا بمسألة الحمية باعتبارها أحد السبل للوقاية من الأمراض وحفظ الصحة. وقد خلفوا لنا عدة مؤلفات في هذا المجال أهمها: "الوصول إلى حفظ الصحة في الفصول" لابن الخطيب، وهو كتاب اهتم بموضوع حفظ صحة الإنسان. كما اهتموا أيضا بموضوع التغذية باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الأدوية شريطة أن تخضع لمعيار الموازنة فالإفراط فيها قد يؤذي الجسم، وهذا ما يفسر بدون شك مدى اهتمام الأمراء بالمطبخ الأندلسي" (أبو العزم، 1999م، ص 12).

الخاتمة

ختاما، حاولنا من خلال مقالنا هذا دراسة موضوع المعرفة والممارسة الطبية بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط من عدة جوانب. فباعتباره موضوعا يدخل في خانة التاريخ الاجتماعي حاولنا كذلك الانفتاح على بعض العلوم الإنسانية مثل علم الاجتماع، وذلك لفهم ذهنية مجتمع الدراسة في تعاطيه مع بعض الأمراض والأوبئة، وكيف تمثلها وفسرها حين عجز العلم عن درئها، وكيف تمثل الممارسة الطبية وطرق العلاج.

لقد عرفت بلاد المغرب والأندلس نهضة فكرية وعلمية خلال العصر الوسيط بدأت مع دولة المرابطين واستمرت إلى عهد الموحدين والمرينيين. انعكس أثر هذه النهضة على عدة ميادين، فكان للطب نصيب كبير من هذا الازدهار.

ساهم تنظيم تعليم الطب وفق مناهج تدريسية مضبوطة تتوج بإجازة في الطب في ظهور مجموعة من العلماء الأجلاء المتخصصين في الطب، ساهموا بشكل كبير في الرقي بالمعرفة والممارسة الطبية، نذكر منهم: ابن مرزوق الخطيب وأبو جعفر القلعي وابن رشد وابن زهر وابن خاتمة وغيرهم. الشيء الذي أدى إلى ازدهار هذه العلوم التي اعتمدت على مبدأ النظر والتجريب في فهم المرض وعلاجه، وهو ما اعتبر طفرة علمية مهمة، خصوصا بعد نجاح هذه المنهجية في علاج العديد من الأمراض.

لكن، وعلى الرغم من هذا التقدم العلمي لم يسلم المجتمع المغربي الأندلسي الوسيطي من تفسير بعض الأمراض والأوبئة تفسيرا غيبيا، فهي بالنسبة للبعض نابعة عن إرادة إلهية يعجز الإنسان عن دفعها ولو بمعرفته الطبية، وبالتالي وجب الاستسلام لها. خصوصا وأن المعرفة الطبية ظلت قاصرة في فهمها وإيجاد دواء فعال لها.

أدى هذا التجاذب إلى ظهور تيارين فكريين مختلفين، يفسر كل واحد منهما المرض وطريقة انتقال العدوى وفق فهمه. تيار يمثله رجال الدين والمتصوفة يفسر المرض والوباء أنه من جملة البلايا التي يسلطها الله على عباده، فهو نقمة على الكافرين وشهادة للمؤمنين، ويناهض حقيقة العدوى ولا يرى في الطب ضرورة لأنه قاصر عن إيجاد الدواء الناجع أحيانا. وتيار آخر يمثله علماء الطب، اتسم بنوع من العقلانية في تفسيره للمرض وطريقة انتقاله وانتشاره، ويرى في المعرفة الطبية سبيلا للوقاية من الأمراض وعلاجها.

لائحة المصادر والمراجع

المخطوطات:

- ابن الخطيب، لسان الدين. *الوصول إلى حفظ الصحة في الفصول*. الرباط: مخطوط موجود بالمكتبة الملكية بالقصر الملكي تحت رقم 77.
- المجوسي، علي. *كامل الصناعة الطبية المعروف بالملكي*. مخطوط بالخزانة العامة. الرباط. رقم 615/ك م. 5017.

المصـــــادر:

- ابن أبي أصيبعة، أحمد. (د.ت). *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*- تحقيق نزار رضا. بيروت: دار مكتبة الحياة.
- ابن الأخوة، محمد. (1937). *معالم القربة في أحكام الحسبة*- ترجمة لوبن ليوى. كمبردج: دار الفنون.
- ابن الجزار، أحمد. (2009). *طب الفقراء والمساكين*- تحقيق الراضي الجازي وفاروق عمر العسلي. تونس: وزارة الثقافة والمحافظة على التراث. المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة.
- ابن القاضي، أحمد. (1973). *جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس*. ج1. الرباط: دار المنصور.
- ابن القيم، شمس الدين. (1998). *زاد المعاد في هدي خير العباد*- تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط. ط3. ج4. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن جلجل، سليمان. (1985) *طبقات الأطباء والحكماء*- تحقيق فؤاد سيد. ط2. ج2. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن حزم، علاء الدين. (دت). *الموجز المحشى بالتحشية الجديدة*. دهلى: مكتبة المصطفى.
- ابن حنبل، أحمد. (2001). *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون. ط1. ج 43. مؤسسة الرسالة.
- ابن خلدون، عبد الرحمن. (2001). *المقدمة*- مراجعة سهيل زكار. ج7 و ج1. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.
- ابن رشد، محمد. (2000). *الكليات*- تحقيق محمد بن عبد الجليل بلقزي. ط1. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.
- ابن سينا، الحسين. (1999). *القانون في الطب*-وضع حواشيه محمد أمين الضناوي. ط1. ج1. لبنان: دار الكتب العلمية
- ابن صاحب الصلاة، عبد الملك. (1987). *تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين*- تحقيق عبد الهادي التازي. لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- ابن مرزوق، التلمساني. (2008). *المناقب المرزوقية*- تحقيق سلوى الزاهري. ط1. المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- ابن مريم، أبو عبد الله. (1908). البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. الجزائر: المطبعة الثعالبية.
- ابن منظور، جمال الدين. (1999). *لسان العرب*. ط3. ج8. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- أبو العرب، محمد. (د.ت). *طبقات علماء إفريقية*، تحقيق محمد بن شنب. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- أبو الفرج، محمد. (2009). *الفهرست*-تحقيق أيمن فؤاد سيد. لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.
- الإدريسي، الشريف. (2002). *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*. ط11. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
- الأصفهاني، أحمد. (2006). *موسوعة الطب النبوي*- تحقيق مصطفى خضر دونمز التركي. ج1. لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.
- التادلي، يوسف. (1997). *التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي*- تحقيق أحمد التوفيق. ط2. الدار البيضاء: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- الحميري، محمد بن المنعم. (1984). *الروض المعطار في أخبار الأقطار*، تحقيق إحسان عباس. ط2. بيروت: مكتبة لبنان.
- الخوارزمي، محمد. (2008). *مفاتيح العلوم*. ط1. بيروت: دار المناهل.
- الرازي، أبو بكر. (1887م). *منافع الأغذية ودفع مضارها*. ط1. مصر: المطبعة الخيرية.
- الرازي، أبو بكر. (1977م). *أخلاق الطبيب- تحقيق عبد اللطيف محمد العبد*. ط1. القاهرة: دار التراث.
- الرازي، أبو بكر. (1991م). *من لا يحضره الطبيب*- تحقيق محمود الحاج قاسم محمد. ط1. بغداد: وزارة الثقافة والإعلام دار الشؤون الثقافية العامة.
- الرندي، ابن عباد. (2011). *الرسائل الكبرى*- تحقيق محمد بن عزوز. بيروت: دار بن حزم.
- الزركلي، خير الدين. (2002). *الأعلام*- قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. ط15. بيروت: دار العلم للملايين.
- الشيزري، عبد الرحمن. (د ت). *نهاية الرتبة إلى طلب الحسبة*- تحقيق محمد حسن إسماعيل وأحمد فرير المزيدي. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الصفدي، صلاح الدين. (2000). *الوافي بالوفيات*، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. ط1. ج8. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الغساني، يوسف. (2000). *المعتمد في الأدوية المفردة*- ضبطه وصححه محمود عمر الدمياطي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الفيروز آبادي، مجد الدين. (2008). *القاموس المحيط*- تحقيق أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد. القاهرة: دار الحديث.
- القرآن الكريم
- القفطي، جمال الدين. (2005). *أخبار العلماء بأخبار الحكماء*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
- القلصادي، علي. (1978) *رحلة القلصادي*- تحقيق محمد أبو الأحفان. تونس: الشركة التونسية للتوزيع.

- الكتاني، محمد. (2004). *سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس*- تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني. ط1. الدار البيضاء: دار الثقافة.
- مجمع اللغة العربية. (2004). *المعجم الوسيط*. ط4. مصر: مكتبة الشروق الدولية.
- المقري، أحمد. (1942). *أزهار الرياض في أخبار عياض*- تحقيق إبراهيم الأبياوي. ج3. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- الناصري، أحمد. (1954). *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*-تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري. الدار البيضاء: دار الكتاب.
- الوزان، الحسن. (1983). *وصف إفريقيا*-ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ط2. ج1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- الونشريسي، أحمد. (1981). *المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب*-خرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حاجي. ج8. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

المراجع:

- ابن شقرون، محمد. (1985). *مظاهر الثقافة المغربية: دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني*. المغرب: دار الثقافة.
- أحمد، عبد الباقي. (1991). *معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري*. ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- أشباخ، يوسف. (1996). *تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين*، ترجمة: محمد عبد الله عنان. ط2. ج1. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- باقر، أمين. (1986). *معجم علماء العرب*. ط1. ج1. بيروت: مكتبة دار النهضة.
- البسام، لطيفة. (2001)، *الحياة العلمية في إفريقية في عهد بني زيري*. الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز.
- بنعبد الله، عبد العزيز. (1960). *الطب والأطباء بالمغرب*. الرباط: المطبعة الاقتصادية.
- بوجرة، حسين. (2011). *الطاعون وبدع الطاعون - الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير (1350-1800)*. مركز دراسات الوحدة العربية.
- البياض، عبد الهادي. (2010). *التصوف السني في تاريخ المغرب: نسق نموذجي للوسطية والاعتدال*. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.
- التليسي، بشير. (2003). *الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي*. ط1. بيروت: دار المدار الإسلامي.
- التنبكتي، أحمد. (2000). *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*. ط2. طرابلس: دار الكتاب
- التنسي، محمد. (1985). *نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان*، تحقيق محمود بوعياد. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- التهانوي، محمد علي. (1996). *موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*، تحقيق علي دحروج. ط1. ج2. لبنان: مكتبة لبنان.
- حاجي، خليفة. (د.ت). *كشف الظنون عن أسامي الكتب الفنون*. مج2. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- حركات، إبراهيم. (2000). *المغرب عبر التاريخ -مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9ه/15م*. ط1. ج1. الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة.
- حسن، أحمد. (دت). *قيام دولة المرابطين*. القاهرة: دار الفكر العربي.
- حسين الحاج، حسن. (1992). *حضارة العرب في صدر الإسلام*. ط1. بيروت: المؤسسة الجامعية.
- حلاق، حسان. (1999). *دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية*. ط2. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- حوالة، يوسف. (2000). *الحياة العلمية في إفريقية "المغرب الأدنى" منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري (90ه/450ه)*. ط 1. ج2. السعودية.
- الخطابي، محمد العربي. (1998) *موسوعة التراث الفكري العربي الإسلامي -نصوص رائدة مع مدخل تحليلي ومقدمة نقدية*. ط1. ج1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- الدباغ، عبد الرحمن. (د.ت). *معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان*، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور. ج 2. تونس: المكتبة العتيقة.
- الدويجي، سعيد. (1972). *بيت الحكمة*. ط2. مؤسسة دار الكتب.
- الذهبي. (1992). *تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام*، تحقيق عمر عبد السلام تدميري. ط1. ج23. بيروت: دار الكتاب العربي.
- زغلول، سعد. (د.ت). *تاريخ المغرب العربي: الموحدون مصامدة السوس الجباليون ورثة المرابطين تأسيس الدولة وقيامها (500-558هـ/1100-1163م)*. الإسكندرية: منشأة المعارف.
- زكي، محمد. (1981). *الرحالة المسلمون في العصور الوسطى*. بيروت: دار الرائد العربي.

- زيتون، محمد. (1988). *القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية*. ط1. القاهرة: دار المنار.
- زيغرند، هونكة. (1991). *شمس العرب تسطع على الغرب*-ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي. ط9. المغرب: الدار الجماهيرية للنشر.
- السامرائي، كمال. (د.ت). *مختصر تاريخ الطب العربي*. ج1. دار النضال.
- السائح، حسن. (1986). *الحضارة الإسلامية في المغرب*. ط2. الدار البيضاء: دار الثقافة.
- السباعي، مصطفى. (1998). *من روائع حضارتنا*. ط1. القاهرة: دار الورق.
- السرحاني، راغب. (2009). *قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية*. ط1. القاهرة: مؤسسة اقرأ.
- سرو، محمد. (2015). *النظر والتجريب في الطب الأندلسي بين ابن رشد وابن زهر (دراسة ابيستومولوجية تحليلية)*. منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية – إيسيسكو.
- سيد، عبد السلام. (2007م). *موسوعة علماء العرب: الطب والصيدلة، الرياضيات والفلك، التاريخ والجغرافيا، الفلسفة، الفيزياء، الكيمياء*. ط2. بيروت: الأهلية للنشر.
- الشاذلي، عبد اللطيف. (1989م). *التصوف والمجتمع: نماذج من القرن العاشر الهجري*. المغرب: مطابع سلا.
- شاوش، محمد. (2011م). *باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان*. ج1. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- شحادة، عبدالكريم. (2005م). *صفحات من تاريخ التراث الطبي العربي الإسلامي*. بيروت: أكاديميا.
- طاش كبرى زاده، أحمد. (1985م). *مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم*. ط1. مج1. بيروت: دار الكتب العلمية.
- طمار، محمد. (2010م). *المغرب الأوسط في ظل صنهاجة*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- الطويل، توفيق. (1990م) *في تراثنا العربي الإسلامي*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- العامري، محمد. (2004م)، *فصول في الطب: إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس*. ط1، لبنان: دار الكتب العلمية
- عبد العزيز، محمد عادل. (1987). *التربية الإسلامية في المغرب: أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية*. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- العكاوي، رحاب. (2000م). *الموجز في تاريخ الطب عند العرب*. بيروت: دار المناهل.
- الغراري، حلمة. (2002م). *بناة الفكر في الحضارة الإسلامية ملامح وسير علماء مسلمي من عصور مختلفة*. المغرب: مطبعة بني يزناسن.
- غريبه، فيصل. (2007م). *التحديات التي تواجه الشباب العربي في مجتمع المعرفة*. مسقط: كلية الآداب والعلوم الاجتماعية.
- فتحة، محمد. (2011م). *الوباء الجارف بالغرب الإسلامي: معطيات ومواقف*. ضمن كتاب *المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب*. الرباط: مطبعة ومنشورات عكاظ.
- فريدمان، جورج. (1985مم). رسالة في سوسيولوجية العمل، ترديولاند عمائيل. بيروت: منشورات عويدات.
- فيلالي، عبد العزيز. (م2002) *تلمسان في العهد الزياني-دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية*. ج1. الجزائر: موفم للنشر.
- القادري، إبراهيم. (1992). *أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي*. الرباط: منشورات عكاظ.
- كنغيلام، جورج. (2007م). *دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها*، ترجمة محمد بن ساسي. ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- المالكي، إبراهيم. (د.ت). *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور. ج2. المكتبة العتيقة.
- مرحبا، محمد. (1988). *الجامع في تاريخ العلوم عند العرب*. ط2. بيروت: منشورات عويدات.
- ممدوح، حسن. (1977م). *إفريقية في عهد الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي: قراءة جديدة تكشف اقتراءات دعاة الفاطميين*. ط1. عمان: دار عمار.
- المنصور، محمد. (2011م). *موقف علماء المغرب من الأوبئة والإجراءات الصحية الاحترازية*. ضمن كتاب *المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب*. الرباط: مطبعة ومنشورات عكاظ.
- المنوني، محمد. (1977م). *العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين*. ط2. المغرب. دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر.
- المنوني، محمد. (1989م). *حضارة الموحدين*. ط1. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

المجـــلات:

- أبو العزم، عبد الغني. (1999م). *أنواع الصيدلية في ألوان الأطعمة*. مجلة أمل. العدد 16. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.
- أبو شويرب، عبد الكريم. (2007م). *الإجازة الطبية خلال عصور النهضة الإسلامية*. مجلة الجامعة المغاربية. العدد 1. طرابلس.

- أولاد أضياف، رابح. (2014م). *نشأة وتطور الخدمة الطبية في المستشفيات الإسلامية من المعهد النبوي إلى القرن 7ه*. مجلة حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية. العدد9. الجزائر.
- بنعبد الله، عبد العزيز. (1985م). *الطب الإسلامي وعلم الحديث*. مجلة المناهل. العدد 33. المغرب.
- بنعبد الله، عبد العزيز. (2003م). *تطور الطب والصيدلة بالمغرب، مجلة التاريخ العربي*. العدد 27. المغرب.
- الحداد، محمد. (1998م). *صورة الوباء في الوعي الإسلامي*. المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية. العدد 17-18.
- حدادي، أحمد. (2001م). *أخبار الأوبئة والأمراض في الرحلات السفارية المغربية*. مجلة كنانيش. العدد 3. وجدة: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- حلاوي، سادسة. (د.ت). ابن الجزار القيرواني طبيبا ومؤرخا 293-373ه/906-984م. مجلة كلية التربية. العدد 7. جامعة واسط.
- رويان، بوجمعة. (2001) RAYNAUD, Lucien. Etude sur L'hygiène et la médecine au Maroc suivie d'une notice sur la climatologie des principales villes de l'empire. مجلة كنانيش. العدد 3. وجدة: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- السعداوي، أحمد. (1995). *المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون: الطاعون الأعظم والطواعين التي تلته خلال القرنين 8-9ه/14-15م*. مجلة إبلا. العدد 175. ص 119-141.
- قويدر، ابن أحمد. (2013). *من تراث الطب الإسلامي: إسحاق بن عمران ومقالة في الماليخوليا أنموذجا*-قراءات في التراث النفسي العربي الإسلامي. سلسلة الراسخون. العدد 4.
- نافع، فاطمة. (2007). *الأدوار التعليمية والاجتماعية والسياسية لأهل التصوف بفاس من خلال كتاب المستفاد للتميمي*. مجلة المصباحية -سلسلة العلوم الانسانية. العدد 7. فاس: كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- نشاط، مصطفى. (1996). *من صعوبات البحث في الديموغرافيا التاريخية للمغرب الوسيط: الطاعون الأسود نموذجا*. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية العدد 16. وجدة

أطروحات الماجستير والدكتوراه:

- الأعرجي، نضال. (2004). *الدولة المرينية في عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني (685-706ه/1286-1306م)*. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي. جامعة الموصل. العراق.
- بكاي، هوارية. (2008). *العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا*. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ. كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية. تلمسان.
- جدو، بلقاسم. (2014). *تطور العلوم النقلية والعقلية في بلاد المغرب الإسلامي على عهد الدول المستقلة (140-296هـ/ 757-909 م)*. مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط. كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية. جامعة الحاج لخضر. الجزائر.
- جلول، صلاح. (2015). *تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والاجتماعي ق 5-6هـ/11-12م*. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية. كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية. وهران. الجزائر.
- قريان، عبد الجليل. (2012). *العلوم العقلية بالمغرب الوسط خلال العهد الزياني (633-962ه/1235-1554م)*. مذكرة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي. جامعة قسنطينة 2. الجزائر.
- اليوسف، مصطفى. (2008). *المقاصد التشريعية للأوقاف الإسلامية*. رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستر في الفقه وأصوله.كلية الدراسات العليا. الأردن.

- BATAILLE, Georges. (1973).*théorie de la religion*. Gallimard.
- BOUASLA, Tibari. (1988). *Tendances actuelles de l'anthropologie anglo-saxonne : cas du Maroc*. Série colloque et séminaires. N°11. Faculté des lettres et des sciences humaines. Rabat. Maroc.
- EDWARDE, brawne. (1933). *La médecine arabe*. Librairie orientaliste Larose: Paris.
- LECLERC, Lucien. (1876). *Histoire de la médecine arabe*. Tome 1. Librairie des sociétés asiatique : Paris.